مجلة
بحوث كلية الآداب
جامعة المنوفية

البحث
٥

المحددات التفسيرية للتنشئة السياسية اللامؤسسية

دراسة حالة لعينه من أطفال الشوارع بمدينة المنيا

إعداد
د/ عثمان حسين عثمان
كلية الآداب - جامعة المنيا

محكمة تصدرها كلية آداب المنوفية
يناير ٢٠٠٣
العدد الثانى والخمسون

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
أدبيات البحث	١٧٦
الفصل الأول : مشكلة الدراسة وإجراءاتها المنهجية	
تمهيد	١٧٨
- أهداف الدراسة	١٧٩
- منهجية الدراسة وأدواتها	١٨١
الفصل الثانى : مفاهيم الدراسة	١٨٢
أولا : أطفال الشوارع : المفهوم والخصائص	١٩١
ثانيا : مفهوم التنشئة السياسية	١٩٥
الفصل الثالث : الدراسات السابقة	٢٠٥
الفصل الرابع : المحددات التفسيرية للتنشئة السياسية اللامدرسية	٢٢٥
الدراسة الميدانية	٢٢٨
الفصل الخامس : مناقشة نتائج الدراسة	

الفصل الأول

مشكلة الدراسة وإجراءاتها المنهجية

مشكلة الدراسة وإجراءاتها المنهجية :

تلقى التنشئة السياسية للأطفال اهتماما بالغا من الدارسين على الرغم من أنه عند تفسير الناتج السياسى ينظر إلى اتجاهات البالغين وليس اتجاهات الأطفال ، ذلك لأن سوابق وخبرات الطفولة تعتبر محددات لاتجاهات وسلوك البالغين ، ونوع الحقيقة السياسية التى يدركها البالغ واتجاهاته نحوها يتحدد بما تعلمه خلال سنواته الأولى ومع ذلك يستطيع البالغ أن يهرب أو يتحول أو يعدل من الثقافة السياسية السائدة . فالثقافة السائدة لا تعنى أنها ذلك الزى الذى يفرض نفسه على كل الأفراد بنفس الطريقة . ولابد وأن يرتديه كل فرد ، فهى ليست إلا مجموعة من الثقافات الفرعية ، وعليه فلا تنقل نفسها : الأفراد ينقلونها ويتشربون جرعات مختلفة منها ويضيفون إليها فتتغير الثقافة ، ولهذا كله تتعدد نماذج الشخصية داخل الثقافة أى تتعدد " الذوات السياسية " ، ما بين الذات المؤسسية واللا مؤسسية داخل وخارج النظام .

على الرغم من أهمية المؤسسات الرسمية فى عملية التنشئة الرسمية الثقافية والسياسية والاجتماعية للطفل – إلا أن التطورات السياسية والثقافية والعلمية والفكرية العالمية جعلتها غير قادرة إلى حد كبير على الأداء الفعال والمتابعة الكافية لهذه العمليات ، هذا فضلا عن المعوقات البنائية الأخرى التى يمكن أن تحول دون قيامها بهذه المهام . وهى معوقات ترتبط ارتباطا وثيقا بالمحددات البنائية والاقتصادية والتربوية التى تعيشها الأسرة ذاتها والتى تتمثل فى تتدنى المستوى الاقتصادى والمادى والفقر والبطالة والتضخم وزيادة عدد الأبناء وكثرة الضغوط التى تواجهها . تلك الظروف المتدنية لا تحرم الطفل فقط من فرص اكتساب المعرفة والنضج العقلى بل تحرم هؤلاء الأطفال من إشباع

احتياجاتهم الأساسية اللازمة للبقاء المادى والنمو الجسمى والعقلى ومن ثم تؤدى إلى تدنى مستوى الفرص المتاحة لأية تنمية سياسية وثقافية .

وهكذا فإن التنشئة السياسية لأطفال الشوارع تخلق وتبلور الذات السياسية بصورة تنعكس على سلوكها السياسى ، وتغير من الذات المتكونة فى بعض جوانبها ، بما يتفق مع تنشئة الخارجين عن النماذج السلوكية للمجتمع . فيتحلل نظام القيم والاتجاهات القائمة بمعنى خلق الحاجة والدافع إلى التغيير ، أنها عملية هجومية على النظام تبرز تناقضاته ، فتعمل التنشئة على إبراز أن الإشباع والتخلص من التوتر يكمن فى التغيير ، ذاته أى تقديم مسالك جديدة للسلوك السياسى . ويبرز التناقض فى الدروس الملقاة فى عملية التنشئة فالأسرة تؤكد قيما تعارضها المدرسة ، فبينما الأسرة - مثلا - ناقمة على الحكومة والنظام القائم ، حاقدة على من فى السلطة تعمل المدرسة على تأكيد الوجهات الحكومية ، وبينما ينقل التليفزيون وجهة معينة تعارضه الإذاعة بوجهة أخرى ، بل وأدهى من ذلك قد تتعارض رسائل نفس المصدر .

وفى ظل الأدوار التنشيئية المجتمعية المفتقدة من جانب معظم الوسائط الرسمية أو الوسائط ذات الأسوار لا يجد الطفل أمامه سوى البحث عن آليات حياتية خارج حدود الأسرة والمدرسة والحزب وغير ذلك حيث تتنامى لديه مشاعر المقاومة لكل ما هو رسمى لتتلقفه العوامل الرحبة الجاذبة المتواجدة فى الشارع وليخضع لرموز سلطوية مغايرة لأشكال السلطة المتعارف عليها - هذه الرموز تتولى تدريس مقررات غير رسمية وغير مطبوعة ذات مضامين يتعلم من خلالها مكونات الذات السياسية وتوجهاته السياسية وأشكال مشاركته السياسية ومعارفه ومعلوماته وممارساته ورؤيته لرموز السلطة وغير ذلك .

إن البذور الجنينية الأولى والمبكرة لمراحل التنشئة السياسية لطفل الشارع وإن تمت فى ظل وسائط غير مباشرة وغير رسمية لكنها تنحت وتشكل المنظومة السياسية لهؤلاء الأطفال وهى منظومة تمثل تنشئة خارج الحدود على الرغم من كونها تتم داخل الحدود . من هنا تأتى أهمية هذه الدراسة – وسوف يتبين لنا من خلال هذه الدراسة دور الشارع والأقران والمسجد فى تشكيل الهوية السياسية للأطفال فى مقابل الفريضة الغائبة من الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام الرسمية والأحزاب السياسية .

أهداف الدراسة :

استهدفت الدراسة تحقيق الأهداف التالية :

- الوقوف على الخلفية الاقتصادية والاجتماعية لأسر أطفال الشوارع " الحالة العمرية لكل من الأب والأم ، المستوى التعليمى ، المهنة ، الخلافات الأسرية ، الحالة السكنية " .
- الوقوف على منظومة المعرفة السياسية لأطفال الشوارع " رؤساء الدولة – زعماء سياسيين – الأحزاب المختلفة – اسم حزب الحكومة – رؤساء الأحزاب – الحدود الجغرافية للدولة – المرافق الحيوية بالدولة – مصادر المعرفة السياسية " .
- الوقوف على درجة وعى أطفال الشوارع ببعض المشكلات المحلية والقومية .
- الوقوف على درجة وعى أطفال الشوارع ببعض القضايا القومية والعربية والدولية .

- الوقـوف علـى درجة تمسك أطفال الشوارع بالقيم السياسية والانتماء - الديمقراطية - الحرية - السلطة ورموزها .
- الوقوف على رؤية أطفال الشوارع للمتغيرات الاجتماعية والسياسية .

ولتحقـيق الأهـداف السـابق ذكـرها فقد أثارت الدراسة التساؤلات التالية :

- ما هى الخلفية الاقتصادية والاجتماعية لأسر أطفال الشوارع ؟
- ما هى منظومة المعرفة السياسية لأطفال الشوارع ؟
- ما هى درجة وعى أطفال الشوارع ببعض المشكلات المحلية والقومية ؟
- مـا هـى درجـة وعى أطفال الشوارع ببعض القضايا القومية والعربية والدولية ؟
- ما هى درجة تمسك أطفال الشوارع بالقيم السياسية ؟
- ما هى رؤية أطفال الشوارع للمتغيرات الاجتماعية والسياسية ؟

منهجية الدراسة وأدواتها :

هـذه الدراسـة وصفية تحليلية تم التركيز فيها على دراسة ووصف منظومة التنشئة السياسية لأطفال الشوارع .

اعـتمدت الدراسة على منهج دراسة الحالة حيث أنه من أكثر المناهج ملائمـة لطبيعة هذه الدراسة وذلك لإمكان إجراء دراسة مكثفة للحالات التى وقـع الاختـيار علـيها تضمنت رؤية تفصيلية لملابسات الحالة " الخصائص الاجتماعـية والاقتصـادية للحالة ولأسرة الحالة وأيضا الظروف المجتمعية " وذلـك لإمكـان الوقوف على منظومة التنشئة السياسية لدى هؤلاء الأطفال ،

وقـد تـم اختيار الحالات بطريقة عمدية مقصودة فى ضوء حيثيات معينة تم وضـعها لإمكان تغطية البحث تغطية علمية دقيقة – وحتى يمكننا أن نتوصل من خلال تحليلهم إلى رؤى عامة - وهذه الحيثيات روعى فيها تباين المستوى التعليمى لطفل الشارع ما بين الأمى ومن يقرأ والذى اجتاز المراحل التعليمية إلـى المـرحلة الـثانوية ، تبايـن المسـتوى الاقتصادى فظهر رب الأسرة الموظـف ، أربـاب الأسـر الذيـن يمتهنون مهن هامشية ، تباين المستوى الاقتصـادى ، تبايـن الظروف الاجتماعية " تمسك الأسرة ، تفككها ، الحالة السكنية ... الخ " . وقد تضمنت بنود الدليل ما يلى :

- الخلفـية الاقتصـادية والاجتماعـية للأسرة " عمر كل من الأب والأم ، المسـتوى التعليمى لكل منهما ، مهنة كل منهما ، دخل كل منهما ، حالة الأسرة الاجتماعية ، الحالة السكنية " .
- المعرفة السياسية " رؤساء الدولة ، زعماء سياسيين ، الأحزاب المختلفة ، اسـم حـزب الحكومـة ، رؤساء الأحزاب ، الحدود الجغرافية للدولة ، المرافق الحيوية للدولة ، مصادر المعرفة السياسية " .
- الوعى ببعض المشكلات المحلية والقومية .
- الوعى ببعض القضايا القومية والعربية والدولية .
- الوعـى بالقيم السياسية الكائنة " الانتماء ، الديمقراطية ، الحرية ، السلطة ورموزها " .
- المتغيرات الاجتماعية والسياسية .

الفصل الثانى

مفاهيم الدراسة

أولا : أطفال الشوارع : المفهوم والخصائص :

إن الشارع بطبيعته ، وطبقا لتصور الجماعة عنه ، هو مكان عمومى مخصص للمواصلات سواء من طرف الراجلين أو العربات أو الدرجات ... وبالتالى فلا مكان للطفل فى الشارع ، بل إن الشارع صمم على أساس رفض الطفل على اعتبار أن الطفل إما أن يكون فى رعاية والديه أو يكون فى المؤسسة التعليمية أى المدرسة ، والجماعة لا تعترف إلا بهذين البعدين بالنسبة للطفل ، وتعتبر أن الطفل عندما لا يكون فى المدرسة يجب أن يكون فى رعاية والديه والعكس صحيح ، وهذا يفترض ضمنيا رفض وجود الطفل وحده فى الشارع ، بل ان عبارة " أطفال الشوارع " تعنى فى نظر الجماعة الأطفال الذين حرموا من الوالدين ، أو من رعايتهما ، وبالتالى حرموا من المدرسة بحيث لم يعودوا يتوفرون على أية حماية ويتعرضون للانحراف .

وبصفة عامة فإنه بدون التشرد - لن نهتم بما يعنيه المنزل ، فالمنزل وعدمه هى ليست مجرد أوصاف بسيطة لأن تكون فى العالم ، ولكنهم يشيرون إلى الخبرات والهويات . ومفهوم الموطن لا يمكن أن يوجد بمعزل عن مفهوم التشرد ، حيث أن مفهوم التشرد يعرف المنزل بصورة ديناميكية . ومن منظور ظاهرى " أن تكون فى المنزل " مفهوم واضح ، ولكن " أن تكون مشرد " تحمل فى ثناياها وعى بغياب الانحراف عن هذه القاعدة . وقد تمثل المنزل فى شكل متضادات ثنائية ، فالمنزل قد يكون مكانا للراحة بعد رحلة ، قد يكون مكانا خاصا للهروب من العالم العام ، وهو مكان آمن فى هذا العالم الغريب غير الآمن ، إن الاضطراب بين المتضادات الثنائية ، بين الأمان والمخاطرة والخوف . فكثير من الأفراد المتشردين نشأوا فى منازل عامة ، الشارع ، ملاجئ ، أكثر من نشأتهم فى منزل خاص .(١)

والمنزل هو المكان الذى يعيش فيه الفرد ، هو الموطن الذى يقطنه . هـو الـبلد الأم للفـرد وأجداده ، هو مؤسسة للأفراد الذين يحتاجون للرعاية والـراحة والملجـأ . فإن الحكمة العامة تخبرنا أن المنزل لا يعنى الموطن ، فالموطـن لا يعـنى فقط الترتيبات المادية لمساحة ما ، ولكنه يتضمن تعبيرا عـن معـانى وهويـات اجتماعـية . المنزل يمثل حيز فراغى هندسى . أما الموطن فهو تعبير عن معنى إنسانى وكينونة فى العالم .

وقـد يكـون الموطـن حلم بمكان معزول أو بشقة فى برج سكنى أو بحجـرة فى مؤسسة سكنية . كما قد يكون مدينة أو بلد أو عشيرة أو أى شئ آخـر حقـيقى أو متخـيل . وكل هذه المعانى لمعنى كلمة موطن ممكنة لأن الموطـن لا يعـنى فقـط المنزل الفراغى . إن الموطن هو على الأقل حيز مكانى ، له كينونة اجتماعية.(٢) .

والأماكن التى تدرك باعتبارها مأوى قد لا تكون كذلك : عندما تقول " أنا ليس لدى موطن " يمكن لهذه الجملة أن تساوى فى معناها " أنا ليس لدى مـنزل كى أعيش فيه " أو " أن المنزل الذى لدى لا اشعر فيه أنه موطنى " ، عـلاوة على ذلك ، إن الإحساس بالتشرد لا يحس به الأفراد فقط ولكن يمكن أن تحسه المجتمعات والأمم ، وينشأ حينذاك من التهميش والاغتراب والهجرة والـنفى ، كمـا حـدث فـى الجنوب الأمريكى الذى مر بتاريخ من العبودية والاضـطهاد ممـا تسـبب فـى الإحسـاس بالتشرد والاغتراب بين الشعب الأسود .(٣)

المنزل والنظام Home and order

يعـد المنزل على هذا ما يشبه " الكتاب " الذى يقرؤه الجسد من خلال تفاعلاتـه (Dovey . 1985) . " الموطـن " أو " الداخـل " يساوى الأمن والآمـان والنظام والأسرة والمرأة أما " الخارج " فقد أصبح مساويا للمخاطرة

والغـربة والاضـطراب . كما أن الموطن يعد مصدر تحقيق الهوية الفردية والاجتماعـية . وفى دراسة Rex فى برمنجهام ميز بين المدركات والمعانى المتعددة للمنزل . وتقدم هذه الآراء والمدركات المنزل باعتباره مصدر النظام وتحقـيق الهويـة وإنـه المـأوى فى هذا العالم الذى لا يرحم " ويعتمد هذا الافـتراض علـى الفصل بين الداخل والخارج حيث يوجد الأمن والآمان فى الداخـل ، والخـوف والخطر يظل فى الخارج .(٤) فالداخل والخارج لا شك أنهمـا مرتـبطان بعضـهما ببعض وعلى هذا ، قد يكون من الأكثر عقلانية الـتحدث عـن الخـارج وتأثـير العالم الاجتماعى على الأماكن التى يسكنها الأفراد .(٥)

يقـوم المتشـردون بعمـل هويـة فى محاولة منهم لاسترداد ذاتيتهم المفقـودة وهناك استراتيجيات ذات صلة قوية بهوية المتشرد وهما دور البعد ودور القـرب ، علاوة على ذلك ، هناك اتفاق فيما بين الدور التقاربى والدور التـباعدى ، وانهما الاثنان يمثلان محاولات يقوم بها الأفراد لاختيار موقعهم علـى متصل التشرد – المواطنة . وفى طرقهم المختلفة وفى محاولة لمقاومة الـتعريفات التقليدية والمدركات العامة لكل ما تعنيه كلمة مشرد . وفى تحقيق هويـتهم ، هـذه السلبية المتوقعة من الضحايا الاجتماعية . وفى ظل الحدود القاسية الاجتماعية والمكانية التى تحد من قوة التشرد ، نجحوا فى تقديم درجة من المرونة وفى بناء بعض الفضاء الخالى لأنفسهم.(٦)

كلمة الطفل :

قـال الله تعـالى : " يـا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقـناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبيـن لكـم ، ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعـد علـم شيئا " (الحج الآية : ٥) . لقد أطلق على الوليد الذى يخرج من رحم أمه " طفلا " .[٧]

وفـى قو له تعالى : " هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قـبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون " (غافر الآية : ٦٧) . وطفلا فى الآيـة حال من ضمير يخرجكم ، أى حال كونكم أطفالا .[٧] وإنما أفراد طفلا لأن المقصود به الجنس بمنزلة الجمع .

وقـد طرحـت مصطلحات متعددة لأطفال الشوارع نعرض لها فيما يلى[٨] :

طفل الشارع هو أى قاصر أصبح الشارع له بأوسع معانى الكلمة بما فى ذلك المساكن المأهولة والأرض الخراب ، إلى آخره ، محل إقامته المعتاد ولا يجـد حمايـة كافية ويقضى الكم منهم فى أوقات مختلفة جزءا كبيرا من يومهـم فـى الشـارع دون أن يشـتركوا بالضـرورة فى أى صفات أخرى مشتركة .

عرف Agnelli أطفال الشوارع بأنهم الأطفال الذين يعملون ويقيمون فى الشوارع كل أو بعض الوقت دون رعاية من أسرهم . ويعرف Boyden أطفال الشوارع بأنهم الأطفال المهضوم حقوقهم والمظلومين الذين يقيمون فى الشوارع ويعملون بها .

ويـــرى جمـــال حمـــزة أنهم الأطفال المقيمون باستمرار فى الشوارع أسفل الكبارى ومحطات القطار والمترو والحدائق العامة لظروف عائلية غير سوية .

وتـــرى عزة كريم أن طفل الشارع هو الذى يظل فترات طويلة أثناء الـــيوم فى الشارع سواء أكان يعمل أعمال هامشية مثل مسح زجاج السيارات أو جمـــع القمامـــة أو مســـح الأحذيـــة أو بيع سلع تافهة مثل المناديل الورق والأكـــياس البلاستيك ، أو يعمل أعمال غير قانونية كالدعارة ونقل المخدرات أو يقـــوم بأعمـــال عدوانية تجاه المرافق العامة والمارة وعادة ما يفتقد هؤلاء الأطفال لمن يقوم بتربيتهم وتوجيههم إلى أنماط سلوكية سليمة .

ولا يستطيع المرء أن يحدد هوية طفل الشارع بأى معيار علمى دقيق لكـــنه مصـــطلح مـــنحوت مـــن قاموس اللغة الدارجة وهو يشمل المنحرفون الأحـــداث ، الأطفـــال اللقطـــاء ، العمـــال الأطفال ، الأطفال المتسربون من المـــدارس ، الأطفال غير المتكيفين مع البيئة . ويقضى هؤلاء معظم وقتهم أو كلـــه فـــى الشـــارع ولهـــم أيضا مسميات متعددة " أطفال بلا أسر ، أطفال المخاطـــر العالمـــية ، أطفـــال لا ارتـــباط لهم ، أطفال فى حاجة إلى رعاية وحماية ، أطفال مخذولون " كلها مسميات تتداخل معا .(٩)

إن الطفـــل المشـــرد أو طفل الشارع يشير ببساطة إلى كل من يعيش بـــدون منزل أو بعيدا عن أسرته هائما على وجهه ويمثل الشارع مأوى له . وعلى حسب التصنيفات يوجد ثلاثة أنواع من المتشردين يمكن وضعهم جميعا تحـــت مفهوم متعارف عليه وهو : أولئك الذين خرجوا من السكن إلى الشارع وهم على النحو التالى(١٠) :

* **أفراد متنقلون Diplaced People :**

وهـم أولـئك الذين يقطنون فى منازل لا يملكونها أساسا (العيش مع آخرين فى نفس المنزل) .

• **أفراد الملاجئ Sheltered People :**

وهـم أولـئك الذيـن يقـيمون فى أماكن وتجمعات خيرية (ملجأ – مستشفى ... الخ) .

• **أفراد الشوارع Street People :**

وهـم أولئك الذين يعيشون على الأرصفة ويقيمون فى الأماكن العامة (موقـف السـيارات – الجـراجات – الأزقـة – الحدائق العامة – أرصفة الشوارع ... الخ) .

ولعـل افتقاد الأسرة لفاعليتها وقدرتها على احتواء أبناءها تحت مظلة الحب والقبول يجعلهم " يفرون " علهم يجدون ما فقدوه من رعاية واهتمام فى مكـان آخـر (الشـارع) ، وقـد يصبح هذا المكان بؤرة لتعليم الكثير من الانحـرافات الـتى يمكـن أن تهـدد المجتمع لذلك فقد رأى بولبى أن العناية بالأطفـال الذين حرموا من الحياة العادية يعتبر ضرورة لا للفرد نفسه فحسب بـل ولمصـلحة المجـتمع أيضـا كما أنه يؤيد ضرورة اتخاذ إجراءات قوية للإقلال بقدر الإمكان من عدد الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية .(١١)

رصيف الشارع :

هـو مجـتمع محلى ، له بنية اجتماعية محددة ، تجسد على مستوى الممارسـات اليومـية خصائص البنية الاجتماعية للمجتمع الأكبر بمستوياتها

الأفقية والرأسية ذات الطابع الجيولوجى اجتماعيا إذا جاز التعبير . فهى تتميز عن أى بنية لأى مجتمع محلى آخر بأنها مفتوحة اجتماعيا ومكانيا ، تسمح بدخول وخروج عناصر ورموز بشرية اجتماعية ، وترتبط بامتدادات الرصيف وعلاقاته بغيره من الأرصفة ، بما فى ذلك الأرصفة " الجوانية " . وإذا كانت بعض العلاقات فوق الرصيف توسم بالمباشرة وعلاقات الوجه بالوجه ، فبعضها آنى وموقفى ، من مارة أتوا صدفة أو قصدا أو مجرد عابرين نحو أرصفة أخرى . ولهذه الخصائص نجد بعض علاقات الرصيف وتفاعلات المتعاملين معه ، تخضع للأعراف والتقاليد السائدة بين أبناء المنطقة المحددة أو بين أصحاب النشاط الاقتصادى أو الاجتماعى المحدد . كما هو الحال بين الباعة وبين أصحاب المحلات . كما نجد نمطا أو بعدا آخر من العلاقات والتفاعلات يميل إلى العفوية والتحرر ، بل وأحيانا الخروج المقصود على القوانين الرسمية ونواهى بعض المحرمات التى تحد أو تعوق أو تقهر حركة بعض البشر عن إشباع حاجاتهم الأساسية . وهذا ما يعبر عنه البعض طبقيا غالبيا عندما يقولون أبناء الشوارع " وأبناء الرصيف " ، أى الأقل انصياعا لبعض الشرائع من القانون أو العرف . إن الرصيف كما نفهمه وبإيجاز شديد صورة حية مباشرة شبه شاملة ومتداخلة ، تكاد تلخص أوضاع المجتمع المحدد وعلاقاته وخريطته الاجتماعية الواقعية .(١٢)

المصادر :

(١) **D. Kimberley;** Home and homelessness in Altman, Irwin and Werner carol home enveronment, plenum press, New York, 1986.

(٢) **D. Wagner;** Checker-Board square; cultural and resistance in a homeless community, Boulder, westview press Colorado, 1993.

(٣) **J. Walff ;** On the raad again : metayhors of travel in cultural criticism, cultural studies 7, 1993, p. p. 224 – 339 .

(٤) **D. Kimberley** – I bid.

(٥) **J. Wardhaugh;** The unaccommadated woman : Home and homelessness the editarial Board of the sociological Review, 1999, p. p. 101 – 102.

(٦) **E. Goffman;** Asylums, Anchar books 1967, New York.

(٧) **أحمد حسن الخميس** ؛ الطفل والطفولة فى القرآن والحديث ، مجلة الدراسات اللغوية ، المجلد الرابع ، العدد الأول ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

(٨) **محمد سيد فهمى** ؛ أطفال الشوارع مأساة حضارية متنامية فى الألفية الثالثة فى كتاب أحمد زايد خطاب الحياة اليومية فى المجتمع المصرى ط (١) المكتب الجامعى الحديث / الإسكندرية ٢٠٠٠ ، ص ٣٢ .

(٩) **أطفال الشوارع** : مأساة حضارية متنامية ط (١) ، سلسلة الترجمات الدولية ، منتدى الفكر العربى ، عمان ، مطابع الجمعية العلمية ، عمان ، الأردن مارس ١٩٨٧ ، ص ٣٠ .

(١٠) **أبـــو بكر محمد مرسى** ؛ ظاهرة أطفال الشوارع : المفهوم – الانتشار – العوامـــل المسئولة – المخاطر – الجهود المبذولة – رؤية حضارية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص. ص ٣٩ – ٤٥ .

(١١) **موســـى محمـــود أبـــو حدسة** ؛ ظاهرة التشرد فى الأردن : دراسة اســـتطلاعية لعينة المتشردين فى مدينة عمان فى مؤته للبحوث والدراسات ، المجلد الثالث عشر ، العدد الثامن ١٩٩٨ ، ص ٣٠٥ .

(١٢) **عـــبد الباســـط عـــبد المعطـــى** ؛ الحياة اليومية على رصيف شارع مصـــرى ، فـــى التبعية الثقافية (مفاهيم وأبعاد) تحريـــر أمنـــية الرشـــيد ، دار الأميـــن للنشـــر والـــتوزيع ، القاهـــرة ، ١٤٢٠ هـــ – ١٩٩٩م ، ص ٢٥١ .

ثانيا : مفهوم التنشئة السياسية :

- يـرى هربـرت هايمـان أن التنشـئة السياسـية تعنى تعلم الفرد لأنماط اجتماعـية عن طريق مختلف مؤسسات المجتمع تساعده على أن يتعايش سلوكيا مع هذا المجتمع .(١)
- ويقول العالمان " الموند وبول " أن التنشئة السياسية هى اكتساب المواطن للاتجاهـات والقـيم السياسـية الـتى يحملها معه حينما يجند فى مختلف الأدوار الاجتماعية .
- ويعـرفها " ليفيـن " بأنهـا اكتسـاب الفرد لاستعدادات سلوكية تتفق مع اسـتمرارية قـيام الجماعات والنظم السياسية بأداء الوظائف الضرورية للحفاظ على وجودها .
- ويـرى " جرنسـتين " فى دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية بأنها التلقيـن الرسمى وغير الرسمى المخطط وغير المخطط للمعلومات والقيم والممارسـات السياسية وخصائص الشخصية ذات الدلالة السياسية وذلك فـى كـل مـرحلة من مراحل الحياة عن طريق المؤسسات المختلفة فى المجتمع .(٢)
- ويـرى " الموندا " أيضا أن التنشئة السياسية هى العملية التى تجند الفرد Induction للثقافة السياسية .(٣)
- ويعـرفها " ماثـيلاس " Massialas بأنها العملية التى بواسطتها يستدمج Internatizos الشخص معاييرا لنظام السياسى وقيمه .(٤)

وتكشف المفاهيم السابقة عن الاتفاق حول عملية التلقين التى يتعرض لهـا الفرد الذى يتشرب من خلالها المعتقدات والاتجاهات السياسية التى تتفق

والـــنظام السياســـى القـــائم وتلاءمه مما يساعده على البقاء والاستمرار ولذا فجمـــيعها يستبعد إمكانية تغيير الفرد لهذه المعتقدات أو تحديها . وربما يتميز مفهـــوم " كولمـــان " للتنشـــئة السياســـية الذى يرى أنها العملية التى يكتسب بواسطتها الأفراد الاتجاهات والمشاعر نحو النظام السياسى ونحو دورهم فيه وهـــذا يتضمن الإدراك Cognition (ما يعرفه الفرد ويعتقد فيه حول النظام ووجـــوده) الشعور Feeling (ما يشعر به الفرد تجاه النظام) وهذا يتضمن الولاء Loyalty والإحساس بالالتزام الوطنى Civic Obligation وإحساس الفـــرد بالكفـــاءة السياسية Political Competence (ما هو دور الفرد فى النظام السياسى أو ما هو الدور الذى يمكن أن يقوم به) .(٥)

وهذا المفهوم على درجة من الأهمية إذ لم يقتصر على مجرد تكوين مشاعر الولاء والطاعة والتوافق مع المجتمع والتأكيد على كل ما يدعم الولاء والطاعـــة فيضيف لهم المقدرة السياسية والكفاءة اللازمة لمشاركته فى الحياة السياســـية ، وهـــناك مفهوم آخر يرى أن التنشئة السياسية بصفة عامة عملية اكتساب Acquiring وتغيير Changing ثقافة البيئة السياسية للفرد .(٦)

ويلاحظ هنا إدخال عملية التغيير فى التعريف السابق ويعد هذا مغايرا للتفســـيرات الجـــامدة للتنشئة السياسية ولذا فهو لا ينصب على التطبع بكل ما يحمله الفرد من المجتمع بل يركز على إمكانية الاختلاف – واستعمال التنشئة استعمالا تغييريا بدلا من استعمالها استمراريا كعملية محافظة أكثر من كونها عملية تغييرية أو تطويرية أو تثويرية .. فنوع القيم المنقولة ، ومدى الكبح أو المـــنح الذى تحتوى عليه الثقافة المسيطرة على هذه القيم ينعكس وبالضرورة علـــى الخـــبرات المســـتقبلية ، فازدهار الديمقراطية السياسية مرتبط بوجود ممارســـات ديمقراطـــية علـــى مستوى المؤسسات الأسرية والدينية والثقافية والمهنـــية والتعليمـــية ، فالإنســـان الـــذى لم يتعود أن يمارس قواعد السلوك الديمقـــراطى فـــى الأســـرة أو المدرسة أو النقابة ، كيف يتوقع منه أن يكون

مواطـنا مشـاركا[٧] ؟ ومـن ثـم يؤثـر تباين خبرات التنشئة التى يكتسبها المواطـن ، والـتى تحـدد تصـرفاته السلوكية فى خضم الحياة السياسية : المشاركة أو عدم الاهتمام السياسى ، تأييد أو رفض النظام السياسى ، الشعور بالانتماء إلى المجتمع السياسى أو التخلى عنه .[٨]

وبصفة عامة يمكن القول أن التنشئة السياسية كما تذهب هذه الدراسة هى :

عملـية تغيير وتبديل القيم السياسية وتعديل أنماط الاتجاهات والسلوك بصـورة تلائم عالم الشارع السياسى الذى يشهد عملية تمرد على القيم السائدة بغـية التوصـل إلى قيم جديدة تتناسب مع التوجهات المعارضة للنظام القائم والمكتسـبة مـن خـلال السلطة المغايرة لسلطة المدرسة والأسرة وجماعات الـرفاق الـتى تدفع طفل الشارع على التطابق مع نماذجها وثقافتها السياسية وبالتالى تشكيل المخرجات السياسية لهذا الطفل .

المصادر :

(١) **Mochael Walzer**; political Decision - making and political Education in Melvin Richter (eds) political theory and political education, princeton university press, 1980, p. 171.

(٢) **عبد الهادى الجوهرى** ؛ دراسات فى علم الاجتماع السياسى ، مكتبة نهضة الشرق ، حرم جامعة القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص. ص ٣٣ – ٣٤ .

(٣) **Kenneth P. Langton;** political socialization, New York : Oxford university press, 1969, p. 4.

(٤) **Gabriel A. Almond & J. S. Colmar** ; (eds) The politics of the developing areas, princeton university press 1960, p. 27.

(٥) **Ingeman Fagerlind & Lowrence J. Saha;** Education and National Development, pergamon press, New York, 1983, p. 120.

(٦) **James S. Colman** ; (eds) education and political development, princaton university Press, 1965, p. 18.

(٧) **Massialas, Byrong (ed);** School and political world of children and youth, in political youth, Traditional school, op. Cit., p. 2.

(٨) **على الدين هلال** ؛ الديمقراطية وهموم الإنسان العربى المعاصر ، الديمقراطية وحقوق الإنسان فى الوطن العربى ، سلسلة كتب المستقبل العربى (٤) ، دار المستقبل العربى ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ ، ص٩ .

الفصل الثالث

الدراسات السابقة

استهدفت دراسة نادية سالم التعرف على " الدور الذى تمارسه المدرسة فى التنشئة السياسية "[1] وذلك من خلال تحليل الثقافة السياسية المتضمنة فى كتب المواد الاجتماعية والتربية القومية الموجهة إلى طلاب المرحلة الابتدائية فى كل من مصر والأردن وسورية ولبنان . اتبعت الدراسة منهجا تجريبيا يعتمد على تحليل المضمون للأبعاد السياسية المتضمنة فى كتب التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية كالانتماء القومى ومفهوم السلطة وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج من أبرزها : أن ٩٤ % مما كتب عن الخدمات والسلطة السياسية يركز على دور الحكومة أكثر من دور المواطن .

وأوضحت أيضا رغم وجود فوارق فى مصر ، سوريا والأردن ولبنان إلا أن هناك تشابها فى خلق الطالب البعيد عن تحمل مسؤولية المشاركة فى قضايا المجتمع .

فى دراسة لـ **عبد الباسط عبد المعطى** الحياة اليومية على رصيف شارع مصرى (دراسة فى مظاهر التبعية الثقافية وآلياتها وردود الفعل اليومية نحوها)[2] استهدفت :

(أ) معلومات وبيانات تاريخية حول أهم التطورات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعمرانية التى عايشها الشارع .

(ب) توصيف الأنماط الأساسية للمنشآت ومبانيها وتوظيفاتها ، ومحتوياتها والأنشطة المختلفة التى تمارس من خلالها . وبالتركيز على أنواع النشاط الاقتصادى ، وأنماط الملكية ، وصور التشغيل وعلاقات العمل . وقد توصلت إلى ما يلى :

بينت المقابلات التى أجريت مع حوالى ٧٥ من باعة الشوارع والرصيف ، تعرضهم لأطراف استغلال متعددة ولصور عديدة من الاستغلال . ويأتى فى مقدمة هذا :

(أ) استغلال تاجر الجملة الذى يفرض على المتعامل معه أسعارا بعينها وهوامش ربح محدودة . ويبلغ الاستغلال إحدى ذراه بتوجهه إلى مستقبل مصر من خلال أطفال الحاضر . فممارسة العمل وشروطه التى تقع على الأطفال ، تعد صورة مستفزة لكل حقوق الإنسان عامة وحق الطفل فى التعليم واللعب والاستمتاع بطفولته .

وقد بين ١٠٠ % من باعة الرصيف والباعة الجائلين أنهم لا يشاهدون برامج التليفزيون بسبب ظروف عملهم ، وإن كان ثلثهم تقريبا يحمل معه جهاز " راديو " وبين ما يقرب من ٩٥ % من العمال أنهم لا يشاهدون التليفزيون إلا فى أوقات العطلات ، وفى أوقات متأخرة من الليل .

وأما تفضيلات المشاهدة فتتركز فى البرامج الدينية بنسبة ٥٠ % من إجمالى من يتابعون التليفزيون ، و ٣٥ % للأفلام السينمائية والمسلسلات ، و٢٥ % لمباريات كرة القدم ، و١٥ % للبرامج الإخبارية .

تعكس بعض المفردات المستخدمة بين المتعاملين على الرصيف بعض التغيرات التى طرأت على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع المصرى . فالتجار أصحاب المحلات يستخدمون قاموسا نوعيا للعملة يعبر عن تدهور قيمة النقد المصرى .

أما عن بعض الدلالات الاجتماعية لمفردات الحياة اليومية ، " فالمنادون " على السيارات فى المواقف المعروفة ، وبعض الحمالين ،

يستخدمون كلمة " باشا " لمن يرتدى ملابس أوربية كمقابل لما كان شائعا قبل ١٩٥٢ ، ويستخدمون كلمة " حاج " و " معلم " مع من يرتدى الجلباب البلدى وهى مسميات تعكس التقويم الاجتماعى المقيس على الشرائح الأكثر سيطرة ، وهى شرائح التجار والمقاولين وذوى الجاه والسلطة .

وعلى صعيد ردود الأفعال توحى الدراسة الراهنة بسلبية ظاهرية على الأقل للمواطنين تجاه واقعهم ، وتجاه بعض القضايا والمشكلات المهددة لأمن المجتمع واستقراره . وفى الوقت نفسه غلبة الحلول الفردية والهروبية لبعض المشكلات الخاصة .

انحسار مؤسسات وصيغ وآليات المشاركة بسبب محدودية المشاركة ، وميلها إلى الشكلية والتقييد القانونى للمشاركة خارج المؤسسات الرسمية الحكومية ، والموقف المتشكك فى الرأى الآخر . واللافت للنظر أن هذا الانحسار ينسحب على بعض الأحزاب المعارضة التى تميل ممارساتها الداخلية إلى الشكلية وتفضيل أهل الثقة والعلاقات القديمة .

برز فى الشارع المصرى ، كما بينت الدراسة وغيرها من الدراسات ، حضور التيارات الدينية :

(أ) ورغم محدودية دورها الخدمى الاجتماعى من خلال المساجد والجمعيات ورغم أن هذا الدور يبدو كحكومة زبد عائمة فوق نهر ساخن ، إلا أن أداءها استقطب أعدادا من الجماهير ، خاصة الشباب ، بسبب غياب أدوار المؤسسات الرسمية ورفع الحكومة يدها عن إشباع الكثير من الحاجات الأساسية للجماهير .

(ب) أسهم ما يشبه الفراغ الفكرى والسياسى والأيديولوجى ، فى انتشار أفكار هذه التيارات ، المعقول منها والمتطرف . وقد لقيت هذه

التيارات دعما معنويا وربما ماديا نتيجة للعمل فى الأقطار العربية النفطية والاتصال بتجربة إيران وأفغانستان .

وأظهرت دراسة أخرى ، تحت عنوان " الأطفال العاملون : الاتجاهات السائدة والسياسات المستجيبة " (Bequelle and Boyden, 1988) .(٣) واعتمد فيها الباحثان على مجموعة من الدراسات قام بها عدد من الباحثين فى أنحاء متفرقة من العالم فى : الفلبين وكولومبيا وبيرو ومصر والهند والبرازيل وكينيا ، وتوصلت الدراسة إلى أن معظم الأطفال يعملون فى جهات غير مسجلة ، أو ذات رأس مال ضعيف . أو فى أسواق عمل موسمية . ويفضل أصحاب الأعمال الأطفال لأنهم يتقاضون مرتبات أقل من البالغين . ويفتقد الأطفال العاملون حقوقهم كعمال ولا يستطيعون الانضمام إلى النقابات وكثيرا ما تمثل عمالة الأطفال عمالة مؤقتة . وقد يلتحق بعض الأطفال بالمدرسة إلى جانب العمل ، ولكن غالبا يفضل الأطفال العمل طول الوقت من أجل الأجر . وقد اتضح وجود علاقة بين عمل الطفل والخلفية التعليمية للأسرة .

وقام أحمد عبد الله بإجراء دراسة عن " عمالة الأطفال فى صناعة صباغة الجلود " (Abdalla 30, 1988) .(٤) ضمن ٥٠ ورشة فى منطقة المدابغ بمصر القديمة ، ٤١ ورشة تنتج الجلد ومشتقاته ، وتختص أربع ورش بدهان الجلود ، وأربع تنتج الصمغ والجيلاتين ، وورشة صغيرة تخيط شنط طلبة المدارس ، وبلغ عدد الأطفال الذين شملتهم الدراسة ٥٠ طفلا تتراوح أعمارهم بين أربعة ونصف وخمسة عشر عاما . كما شملت الدراسة ٥٠ أسرة بها أطفال عاملون ، منها ١٥ أسرة تضم ١٥ من الأطفال الذين شملهم المسح فى الورش . كما تضمنت الدراسة ٥٠ أسرة تضم أطفالا ملحقين بالمدارس .

وقد أكدت الدراسة على الافتراض القائل بأن عمالة الأطفال تأتى من الأسرة الفقيرة التى تنظر إلىأطفالها كمصدر للدخل . فقد كان السبب الرئيسى لإرسال الأطفال إلى العمل هو الحاجة إلى المال بنسبة ٩٠ % (فى رأى الأسرة) و ٥٠ % (فى رأى الأطفال) . كما رأت الأسرة بنسبة ٤٨ % أن السبب هو عدم القدرة على تدبير مصروفات المدرسة . ويرى الباحث أن الطفل عندما يوافق على العمل يظن أن القرار هو قراره بينما فى الواقع أن القرار قد اتخذ له .

(٥١) استهدفت دراسة الهام عفيفى " ثقافة الطفل العامل : دراسة حالة مصرية " التعرف على أهم ملامح ثقافة الطفل العامل فى المجتمع المصرى عن طريق الوصول إلى أهم الأسباب التى شكلت هذه الملامح والتى تنبع من المجتمع ومعالجة التحديات التى تقف عقبة أمام ثقافة الطفل . وقد توصلت إلى النتائج التالية :

أوضحت الدراسة أن الطفل يتشرب الثقافة من الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام وأن من التحديات التى تواجه ثقافة الطفل أمية الأسرة والتى تؤثر على الألفاظ ومخارجها خاصة فى المراحل الأولى من العمر ، المصطلحات التى يستخدمها ومستوى الحصيلة اللغوية وكم المعلومات التى تتكون لديه ، كما يؤثر أيضا المستوى الثقافى للأسرة على الأسلوب الذى تتم عن طريقه عملية التنشئة . تساهم المدرسة أيضا فى التأثير على ثقافة الطفل ويعتبر تسرب التلاميذ تحديا أساسيا وذلك نظرا لارتفاع المصروفات المدرسية وصعوبة المناهج ، عدم توفر الخدمات الصحية للتلاميذ ... الخ . كما تساهم أيضا وسائل الإعلام بدورها فى إحداث هذه المشكلة فكتاب الطفل لا يلعب دوره فى تثقيف الطفل خاصة الطفل العامل فضلا عن ندرته ، مواعيد برامج الأطفال فى الإذاعة المرئية والمسموعة لا تتلاءم والوقت المتاح للطفل العامل أيضا السينما والمسرح ضرب من الرفاهية بالنسبة للطفل

فـــى الأســـرة العادية . كما انها تعرض لموضوعات بعيدة كل البعد عن ثقافة الطفـــل خاصـــة مـــا تتناوله من مسرحيات وأفلام للكبار ، وبالنسبة للبرامج الموجهـــة للأطفال فوقت الأطفال العاملين لا يسمح برؤيتها فضلا عن ارتفاع تكلفتها .

اســـتهدفت دراســـة كـــل من السيد رشاد غنيم وسعيد أمين ناصف " أطفال الشوارع بين الواقع المعاصر وتحديات المستقبل " دراسة سوسيولوجية لظروف النشأة وعوامل التطور .(٦) التعرف على الواقع الاجتماعى للطفولة بعامة وأطفال الشوارع بخاصة على الصعيدين : العالمى والإقليمى ، ومن ثم على الصعيد المحلى .

وكشـــفت الدراســـة عن أن معظم حالات الدراسة قد جاءت فى الفئة العمـــرية مـــن ١٢ – ١٤ سنة وأنهم ينحدرون من المناطق الشعبية والمناطق العشـــوائية المنتشـــرة على مستوى مدينة القاهرة وأن معظمهم من الأميين أو يقـــرأون ويكتـــبون . كما تبين وجود علاقة وارتباطا بين التسرب من التعليم والانخـــراط فـــى الشـــارع والانضـــمام إلى تلك الفئة وأن الظروف الأسرية والأوضاع الاقتصادية المتدنية والضغوط المادية التى تواجهها الأسرة الفقيرة فضـــلا عـــن تدهـــور الظـــروف المعيشية والسكنية للأسرة وما تعكسه تلك الظروف من أشكال مختلفة للحرمان يتعرضون لها كانت مسئولة عن خروج هؤلاء الأطفال للشارع .

كمـــا أن تبايـــن أســـاليب التنشـــئة الاجتماعية وتنوعها " الضرب ، القســـوة ، التمييز بين الأبناء " أسهمت فى تفضيل هؤلاء الأطفال للشارع عن الأســـرة – كمـــا تبين أن المستوى التعليمى للوالدين ساهم فى انخراط هؤلاء الأبـــناء فى حياة الشارع حيث انعكس هذا المستوى على إهمال الوالدين لتعليم أبـــنائهم ، كما أن إخفاق النظام التعليمى وسياساته المختلفة كانت مسئولة عن

تسـرب هؤلاء الأطفال . أوضحت البيانات أيضا أن وسائل الإعلام بأنماطها المـتعددة سـاهمت فى استفزاز هؤلاء الأطفال وتنمية النزعات العدائية لديهم ممـا ساهم فى تنمية القيم السلبية ومشاعر الحقد والتمرد لدى هؤلاء الأطفال فصـورة الطفـل المـرفه الـتى تقدمها وسائل الإعلام تدعم وتعمق الفروق والتناقضات الطبقية .

المصادر :

(١) **ناديه حسن سالم** ؛ التعرف على الدور الذى تمارسه المدرسة فى التنشئة السياسية .

(٢) **عبد الباسط عبد المعطى** ؛ الحياة اليومية على رصيف شارع مصرى (دراسة فى مظاهر التبعية الثقافية وآلياتها) . مرجع سابق - ص. ص ٢٥١ - ٢٩٣ .

(٣) **عادل عازر وآخرون** ؛ ظاهرة عمالة الأطفال ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، قسم بحوث التعليم والقوى العاملة ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص. ص ٢٩ - ٣٠ .

(٤) **المرجع السابق** ؛ ص. ص ٢٩ - ٣٠ .

(٥) **الهام عفيفى عبد الجليل** ؛ ثقافة الطفل العامل ، دراسة حالة مصر فى مجلة فصلية قومية لثقافة الطفل العربى ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، إدارة الثقافة ، تونس ١٩٩٤ ، ص. ص ١٠٢ - ١٤١ .

(٦) **السيد رشاد غنيم ، سعيد أمين ناصف** ؛ أطفال الشوارع بين الواقع المعاصر وتحديات المستقبل " دراسة سوسيولوجية لظروف النشأة وعوامل التطور " ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ص. ص ١٦ - ١١١ .

الفصل الرابع

المحددات التفسيرية للتنشئة السياسية اللامدرسية

على الرغم من تعدد المحددات التفسيرية للتنشئة السياسية اللا مؤسسية والتى لا تقتصر فى مخرجاتها بطبيعة الحال على أطفال الشوارع بل تمتد لتشمل أشكال العنف السياسى والسلبية واللا مبالاة والخروج من عباءة الوطن بمؤسساته المختلفة فإن مقتضيات الدراسة الراهنة تتطلب تناول بعض المحددات ذات العلاقة بأطفال الشوارع .

مجتمع بلا مدارس :

يشير اليتش فى كتابه (مجتمع بلا مدارس)[٥] إلى طغيان المؤسسات بقوله أن المؤسسات فى المجتمعات المعاصرة سلبت قيم الإنسان الذاتية حتى أنه أصبح من النادر وجود قيم يحاول الإنسان تحقيقها بذاته . ولقد بلغ الأمر حد ظهور مؤسسات تعنى بأخص قيم الإنسان التى ظلت طوال التاريخ جزءا أصيلا من شخصيته ، " فدفن الميت الذى كان إلى عهد قريب مسألة يقوم عليها أهل المتوفى وأصدقاؤه يتحول اليوم ليصبح عملا متخصصا تقوم عليه أكثر من مؤسسة " ومن اليسير على أى إنسان أن يدرك حجم هذه الظاهرة الخطيرة وهى تحول الإنسان تدريجيا إلى مجرد كائن حى لا يملك من أمر نفسه شيئا . ومما لا شك فيه أن محاولة الإنسان توجيه حياته وإعادة صياغة الطبيعة بشكل يمكنه من إحكام سيطرته عليها ، تعبر عن أعظم ما فى الإنسان من قدرات وخصائص تجعله أكرم المخلوقات الكونية بل كان من الممكن أن يفقد الإنسان إنسانيته وتفرده عن سائر المخلوقات بالعقل إذا لم يعكف على محاولته لإعادة صياغة الحياة وفق طموحات يحددها هو لنفسه والإنسان قد ارتقى عقلا وخلقا بل وبدنا وهو يسعى حثيثا لإعادة صنع الحياة على الأرض وفق أمانيه وتطلعاته . تلك حقيقة لا جدال فيها لكنها لا ينبغى أن تحجب عنا الجانب الآخر لسعى الإنسان من أجل السيطرة على الحياة.

فلقد استعان البشر بالعديد من الصيغ التنظيمية من أجل بلوغ هذا الهدف النبيل ولكن الذى حدث هو دخول الوسائل إلى غايات وتبدل المعينات إلى قيود سلب الإنسان الكثير من حريته ومبادراته لتقترب به اليوم من أن يكون مجرد آلة أو رقم لا حول له ولا قوة . وهذا التحول الخطير فى طبيعة المؤسسات أو الصيغ التنظيمية التى أوجدها الإنسان واتخذ منها أدوات تيسر أحكام سيطرته على الحياة يتعاظم يوما بعد يوم مما يجعل من الضرورى أن تكون لكل المجتمعات وقفة تعيد النظر فيها لما نملكه من هذه المؤسسات .

ويؤكد اليتش على خطورة الأوضاع التعليمية التى تعرفها كل المجتمعات فى عالم اليوم وعلى ضرورة تخليص هذه المجتمعات من هذا الخطر الذى يوشك أن يؤدى بها إلى الكارثة . فالمدرسة باعتبارها المؤسسة التربوية ، تحولت اليوم - وذلك فى كل المجتمعات بلا استثناء إلى أداة تطويع تسلب الإنسان كل أسلحته التى تمكنه من الحياة الحرة الكريمة ، لتجعل منه كائنا بلا إرادة وبلا اختيار يقبل كل ما يعرض عليه فى سلبية وعجز تام . وهكذا تتحول المدرسة من مؤسسة منوط بها فى الأصل أن تنمى الأفراد وتعدهم لتحمل مسؤولية المجتمع فى المستقبل إلى أداة تعرقل هذا النمو وتستنزف طاقات المجتمع لا لتحقيق أهدافه وإنما لتعرقل بلوغها محققة نتائج متناقضة تماما مع وجهتها الأصلية . فالمدرسة اليوم تشحن عقول أبنائنا بكميات هائلة من المعارف المنقطعة الصلة بواقع حياتهم المعاش . إن كل واحد منا يستطيع بشئ من الأمانة مع النفس إدراك العلاقة بين ما تعلمه خلال سنوات وسنوات وما يفيد مما تعلم أثناء ممارسته عمله وحياته فى مجالاتها الرحبة والمتعددة . جهد كهذا يضعنا أمام ضرورة قبول ما ذهب إليه Illich من أن معظم مهاراتنا وقدراتنا التى نركن إليها فى حياتنا قد اكتسبناها خارج نطاق التنظيمات[1] المدرسية من خلال الممارسة الفعلية للحياة .

فالمدرسة لا توفر إمكانية تطبيق المعرفة المكتسبة ولا تيسر الإبداع الفردى لأن نشاطها محكوم ببرنامج جامد يطبق حرفيا وهى لا تنجح فى إعداد أصحاب المهارات العملية ولا فى تشكيل العقلية الحرة ومن ثم تأتى ضرورة تصفيتها وإيجاد صبغة جديدة تسمح بالتربية الحرة تربية حرة يتخلص فيها الإنسان من قهر البرامج المعدة سلفا ليحقق ذاته فيتعلم بنفسه وفق معاناته الشخصية وتبعا لرغبته الحقيقية فى المعرفة . والأساس فى هذه التربية الحرة هو الإفادة العملية من كل ما ينجح الإنسان فى تحصيله من معارف نظرية ومن مهارات وقدرات عملية .والبداية للتربية الحرة تكمن فى إحساس الفرد بمشكلة تتطلب منه السعى لحلها والخروج منها . ومما لا جدال فيه فإن ثراء الحياة بما تقوم عليه من تنظيمات وأجهزة وعلاقات إنسانية لا يمكن مقارنته بهذه الحياة المسخ التى تضمها المدرسة لتكن صورة لحياة المجتمع . شتان بين هذا العالم المصطنع الذى تقم عليه المدرسة والحياة الرحبة التى يزخر بها المجتمع وتستقطب اهتمامات الناس وجهودهم . ولا يوجد من بين المربيين من ينكر أهمية الحياة الحقيقية وعظمة دورها فى ترقية الإنسان وتدعيم خبراته ومعارفه وهنا ندرك سلامة الحس الشعبى حينما يريد الإعلاء من خبرة وعلم شخص بعينه فيصفه بأنه تخرج فى مدرسة الحياة .

الوعى وتعليم المقهورين :

يؤكد فريرى فى كتابه (تربية المقهورين)[٢] على وظيفة التعليم بالنسبة للمقهورين ، ويميز بين التعليم البنكى والتعليم " الحوارى " ، ويقصد بالتعليم البنكى ذلك النظام الذى يقدم على الحفظ والاستذكاء ، كأن المدرس يودع مجموعة من المعلومات فى بنك ، يتوقع أن يستردها فى وقت

الامـــتحان ، هـــذا الـــنوع من التعليم يفترض أن العلم هو مجموعة ثابتة من البـــيانات ويضـــع الطالـــب أو المتعلم فى موقع الأخذ والتلقى لحقائق متكاملة يمـــتلكها المـــدرس ، أما التعليم " الحوارى " فيخاطب ملكة النقد ، ويقوم على الـــنقد الدائم وهدفه فهم الحياة والمشاركة فيها ، فى هذا النوع من التعليم فإن التركـــيز لا يكـــون على نقل المعلومات والبيانات ، وإنما على حل المشكلات وفهمهـــا ، يترتب على ذلك أن العلاقة بين الطالب والمعلم هى علاقة مشاركة وســـعى مـــن أجـــل الوصول إلى الحقيقة . وينطلق " فريرى " من فكرة عن الـــثقافة مؤداها " أن الإنسان هو الذى يبدع الثقافة بعلمه " ومن ثم فإن التعليم الـــذى نمارســـه فـــى مدارسنا وجامعاتنا لا تستهدف منه سوى السيطرة على عقـــول الطـــلاب يجعلهـــا بنوكا نخزن فيها ودائعنا من أجل استلابهم ، وهنا يطرح " فريرى " المشكلة الرئيسية فى تعليم المقهورين – وتتركز حول سؤال رئيسى هو كيف يستطيع المقهورون والذين لا يشعرون بوجودهم المتحقق أن يسهموا فى تطوير أسلوب تعليمى يستهدف تحريرهم ؟

يشير " فريرى " إلى أن التعليم كممارسة إنسانية من أجل الحرية لابد أن يمـــر بمرحلتيـــن متمايزتيـــن : المرحلة الأولى : يستجلى المقهورين عالم القهـــر وفهـــم حقيقـــته ، حيث يتم فيها إثارة الوعى بحقيقة وجود المقهور ، وحقيقة وجود القاهر ، أو بمعنى آخر حقيقة وجود رجال يمارسون القهر على الآخريـــن ، ورجال يعانون هذا القهر ، بالتام من الضرورى ملاحظة سلوك المقهورين وأخلاقياتهم ونظرتهم إلى العالم . أما المرحلة الثانية : فتتم بعد أن تتضح حقيقة المقهورين .

العنف الرمزى :

تعتبر التربية أهم ميادين العنف الرمزى Symbolic Violence فى مقـــابل العـــنف الـــبدنى أو الجســـمى Physical Violence ففى ظل النظام

الديمقـــراطى حيـــث العنف الظاهر المكشوف مستحيل بحكم القانون ، تعتمد الطـــبقات المســـيطرة بشدة على النظام التربوى كمؤسسة للعنف الرمزى من أجل المحافظة على سيطرتها الاجتماعية والاقتصادية . والتربية تنطوى على جـــبر أو قهر ثقافى Cultural Arbitrary بواسطة قوة قسرية Arbitrary Power أى أن ثقافـــة الطبقة المسيطرة يتم تعريفها بوصفها " الثقافة " العامة لكـــل طـــبقات المجتمع ، ومنها يشتق محتوى التعلم الذى ينتقل إلى كل الفئات الاجتماعية من خلال النظام التربوى . وحيث أن الثقافات الطبقية تختلف عن ثقافة الطبقة السائدة ، فإن النظام التربوى يتجه إلى توليد ذاته من خلال توليده للـــتوزيع الهـــرمى للرأســـمال الـــثقافى ، فالتعليم يتحيز للأفراد الذين بفضل أنماطهم الطبقية للموجهات والخصائص الشخصية (Habitus) ورثوا ثقافيا الاتجاهـــات اللغويـــة والميول والاهتمامات المواتية وغير ذلك من سمات تعد أساسية للنجاح التربوى .(٣)

وعلـــى ذلـــك فالمحـــتوى المعرفى للمناهج ونمط التدريس السائد فى المعـــاهد التربوية يرتبط بقوة بثقافة الطبقة الحاكمة وأنماط البث والتلقين التى تســـتخدمها فى تنشئة صغارها ، ولذا فالنجاح المدرسى بوجه خاص مشروط بـــرأس المـــال الـــثقافى ونظـــام الموجهـــات الشخصية (الميول والنزعات والطموحـــات) للطـــبقات المســـيطرة . وفـــى هذا تفسير لعمليات الاستبعاد المستمرة لأصحاب رأس المال الثقافى المتواضع وذوى الخصائص الشخصية المغايـــرة لمـــا تتطلـــبه ثقافة المدرسة . ويعتبر نمط التعليم ، أو بعبارة أدق العلاقـــات الاجتماعية للاتصال التربوى آلية أساسية تعمل على حرمان أطفال الطـــبقات الجماهـــيرية وبخاصـــة العمـــال والفلاحين من المميزات التربوية المـــتقدمة . فهـــو يمـــثل الظـــرف الموضوعى الذى يربط النظام المدرسى بالأصول الاجتماعية والطبقية للتلاميذ .

ويقـود تحليل بوردو وباسيرون إلى تقرير ضرورة توفير رأس المال الـثقافى (بوجه خاص رأس المال اللغوى) للحصول على النجاح فى أنماط دراسـية معيـنة وفى أنماط محددة . وتعمل آلية الاختيار الاجتماعى للتعليم بشـكل مسـتمر وحاسـم علـى فرز الطلاب وتصفيتهم استنادا إلى أصولهم الثقافـية ، وعلى تنسيق المجالات والمستويات الدراسية ملاءمة لكل مجموعة ثقافية .

وفيما يتصل بالأيدولوجية والديمقراطية فى النظم التربوية للمجتمعات الغربية فهى بمثابة إطار فضفاض من الزيف والوهم يهدف إلى حجب وظيفة الانـتقاء الاجـتماعى التى يؤديها النظام التربوى عن أعين الناس . ويتناول بوردو وباسيرون التغيرات التى طرأت على النظام التعليمى الفرنسى موضحا تحـيزه للفئات الاجتماعية المتميزة . ومثال ذلك ما حدث فى فترة الستينات ، وهـى فترة تميزت بالنمو والتوسع فى القبول فى مرحلة التعليم العالى ويشار إلـيها كثيرا باعتبارها علامة فى تاريخ النظام التربوى الفرنسى من علامات ديمقراطـية القـبول وعدالة توزيع الفرص التعليمية بين الطبقات الاجتماعية المتبايـنة . وبـالفعل تزايدت أعداد الطلاب المقبولين زيادة هائلة ولكن دون تغيـير يذكـر فـى البناء العام للتوزيع الطبقى للفرص . وفى عبارة أخرى ، توزعـت الزيادة فى المقيدين من نفس السن بين الطبقات الاجتماعية المختلفة بنسـب تكاد تكون متكافئة مع التوزيعات السابقة . ويذكر بوردو وسيرون أن هـناك أمـثلة شـبيهة فـى معظـم الدول الأوروبية وفى الولايات المتحدة الأمريكـية .(٤) ومـن الواضح أن الآلية التى يستخدمها النظام التربوى للقيام بوظيفـته فى الاختيار الاجتماعى وفى إضفاء الشرعية على الهرم الاجتماعى لا تكمـن فحسـب فـى محتوى المناهج ، بل تتمثل بدرجة أساسية فى نمط التدريس وعلاقات الاتصال المدرسية وهناك فإن مهمة أدوات التقويم المختلفة هى تسهيل الفصل بين أطفال الطبقة المسيطرة والدفع بهم إلى درجات تعليمية

أرفع ، وبين أطفال الطبقات المحرومة حيث تحدد لهم مواقفهم فى مؤخرة النظام .

المقاومة والاستقالية النسبية والطوعية :

يحاول المنهج الدراسى ، كما يذكر " مايكل أبل " استلاب العناصر الثقافية للطبقات الدنيا ساعيا إلى تسييد أيديولوجية الفئات المهيمنة وتفسيراتها الاجتماعية والاقتصادية . ففى ظل النظام الرأسمالى يصبح تزييف وعى الطبقات المقهورة ضرورة تفرضها مبادئ هذا النظام وأسسه . ولابد أن يعتقد جميع الأفراد أن النشاط الإنتاجى الذى يمارسونه فى هذا النظام موجه فى المقام الأول لخدمة مصالح الجميع . ولابد أيضا أن ينظروا إلى التركيب الطبقى لمجتمعهم باعتباره أمرا طبيعيا ومشروعا من حيث أنه يعكس التفاوتات فى كفاءة الأفراد وقدراتهم وإمكانياتهم .

وإذا كانت تلك التناقضات المجتمعية تعكس تضارب الممارسات التربوية والتنظيم الاقتصادى الخارجى ، فهناك أيضا تناقضات كامنة داخل المدرسة نفسها ، فالطبيعة المتناقضة للعلاقات الاجتماعية فى المجتمع الرأسمالى تنعكس فى علاقات التفاعل فى المدارس والفصول ، فالطلاب يعارضون السيطرة الثقافية فى المدرسة وفى الفصل ، ليس هناك شك فى أن المعرفة المتضمنة فى المنهج بالإضافة إلى " المنهج المستتر " Hidden Curriculu والتى تعتبر شرعية ورسمية من قبل المدرسة تنحو للبعد عن ع الحياة اليومية وشئون العمل وطبيعة المعاناة التى يعيشها الطلاب داخل هم ويخبرونها من أصدقائهم وخلال اشتغالهم بعض الوقت فى وظائف متواضعة . وعن طريق رفض الثقافة الشرعية للمدرسة بتأييدهم ن العمل اليدوى وأنشطته يؤكد التلاميذ ذواتهم ويقدرون بواقعية فى

ويقـود تحليل بوردو وباسيرون إلى تقرير ضرورة توفير رأس المال الـثقافى (بوجه خاص رأس المال اللغوى) للحصول على النجاح فى أنماط دراسـية معيـنة وفى أنماط محددة . وتعمل آلية الاختيار الاجتماعى للتعليم بشـكل مسـتمر وحاسـم علـى فرز الطلاب وتصفيتهم استنادا إلى أصولهم الثقافـية ، وعلى تنسيق المجالات والمستويات الدراسية ملاءمة لكل مجموعة ثقافية .

وفيما يتصل بالأيدولوجية والديمقراطية فى النظم التربوية للمجتمعات الغربية فهى بمثابة إطار فضفاض من الزيف والوهم يهدف إلى حجب وظيفة الانـتقاء الاجـتماعى التى يؤديها النظام التربوى عن أعين الناس . ويتناول بوردو وباسيرون التغيرات التى طرأت على النظام التعليمى الفرنسى موضحا تحـيزه للفئات الاجتماعية المتميزة . ومثال ذلك ما حدث فى فترة الستينات ، وهـى فترة تميزت بالنمو والتوسع فى القبول فى مرحلة التعليم العالى ويشار إلـيها كثيرا باعتبارها علامة فى تاريخ النظام التربوى الفرنسى من علامات ديمقراطـية القـبول وعدالة توزيع الفرص التعليمية بين الطبقات الاجتماعية المتبايـنة . وبـالفعل تزايدت أعداد الطلاب المقبولين زيادة هائلة ولكن دون تغيـير يذكـر فـى البناء العام للتوزيع الطبقى للفرص . وفى عبارة أخرى ، توزعـت الزيادة فى المقيدين من نفس السن بين الطبقات الاجتماعية المختلفة بنسـب تكاد تكون متكافئة مع التوزيعات السابقة . ويذكر بوردو وسيرون أن هـناك أمـثلة شـبيهة فـى معظـم الدول الأوروبية وفى الولايات المتحدة الأمريكـية .(٤) ومـن الواضح أن الآلية التى يستخدمها النظام التربوى للقيام بوظيفـته فى الاختيار الاجتماعى وفى إضفاء الشرعية على الهرم الاجتماعى لا تكمـن فحسـب فـى محتوى المناهج ، بل تتمثل بدرجة أساسية فى نمط التدريس وعلاقات الاتصال المدرسية وهناك فإن مهمة أدوات التقويم المختلفة هى تسهيل الفصل بين أطفال الطبقة المسيطرة والدفع بهم إلى درجات تعليمية

أرفـــع ، وبيـــن أطفال الطبقات المحرومة حيث تحدد لهم مواقفهم فى مؤخرة النظام .

المقاومة والاستقلالية النسبية والطوعية :

يحـــاول المـــنهج الدراسى ، كما يذكر " مايكل أبل " استلاب العناصر الثقافـــية للطبقات الدنيا ساعيا إلى تسييد أيديولوجية الفئات المهيمنة وتفسيراتها الاجتماعـــية والاقتصـــادية . ففـــى ظل النظام الرأسمالى يصبح تزييف وعى الطبقات المقهورة ضرورة تفرضها مبادئ هذا النظام وأسسه . ولابد أن يعتقد جمـــيع الأفـــراد أن النشاط الإنتاجى الذى يمارسونه فى هذا النظام موجه فى المقـــام الأول لخدمـــة مصـــالح الجميع . ولابد أيضا أن ينظروا إلى التركيب الطـــبقى لمجـــتمعهم باعتـــباره أمـــرا طبيعيا ومشروعا من حيث أنه يعكس التفاوتات فى كفاءة الأفراد وقدراتهم وإمكانياتهم .

وإذا كانـــت تلـــك التناقضـــات المجتمعية تعكس تضارب الممارسات الـــتربوية والتنظيم الاقتصادى الخارجى ، فهناك أيضا تناقضات كامنة داخل المدرســـة نفســـها ، فالطبـــيعة المتناقضـــة للعلاقات الاجتماعية فى المجتمع الرأســـمالى تـــنعكس فـــى علاقات التفاعل فى المدارس والفصول ، فالطلاب يعارضون السيطرة الثقافية فى المدرسة وفى الفصل ، ليس هناك شك فى أن المعـــرفة المتضـــمنة فى المنهج بالإضافة إلى " المنهج المستتر " Hidden Curriculum والـــتى تعتبر شرعية ورسمية من قبل المدرسة تنحو للبعد عن واقـــع الحياة اليومية وشئون العمل وطبيعة المعاناة التى يعيشها الطلاب داخل أســـرهم ويخـــبرونها من أصدقائهم وخلال اشتغالهم بعض الوقت فى وظائف ومهـــن متواضـــعة . وعـــن طريق رفض الثقافة الشرعية للمدرسة بتأييدهم لخصـــائص العمل اليدوى وأنشطته يؤكد التلاميذ ذواتهم ويقدرون بواقعية فى

الوقت نفسه عدم فعالية المدرسة فى رفع أحوالهم الطبقية وتحسينها . ونستدل من ذلك على أن سلوك التلاميذ أنفسهم يتسم هو الآخر بالتناقض ، منهم من ناحية يرفضون العمل العقلى ويفضلون عليه العمل اليدوى ، وينعكس ذلك فى أشكال متباينة منها رفضهم للمعرفة المدرسية وهروبهم من المدرسة وانهماكهم فى أنشطة مغايرة للدراسة .(٥) لذلك فمن المحتمل أن يوجد تقبلا جزئيا وغالبا رافضا لكل من المنهج المعلن والمخفى خاصة فى المدارس التى يدرس بها أبناء الطبقات الفقيرة . وتظهر مواقع Sites للمقاومة والصراع ويشكل التلاميذ اتجاها مقاوما ومناوءا داخل النظام المدرسى ، ويعطى ايل مثالا لرؤيته مؤداه : " أن أعدادا كبيرة من التلاميذ يتحدون الطقوس المدرسية ويدخنون ويتحكمون بصور غير رسمية فى الحياة المدرسية برفضهم للمعرفة المقدمة لهم ويهربون من المدرسة وينهمكون فى أنشطة تتناقض مع أهداف المدرسة ، ويتجاهلون المدرسون ويهملون بقدر الإمكان الانتظام والدقة والطاعة وباقى القيم المتأصلة اقتصاديا وكل ما يهم الطلاب هو البقاء إلى أن يدق الجرس – هذا إن لم يكونوا قد قاموا بالهروب منها " .(٦)

ويعد هنرى جيروكس Henry Giroux أحد الذين انتهجوا نفس الرؤية التى تؤكد على الطبيعة الطوعية لنظرية المقاومة وكذلك الأساس الذى تقدمه فى مواجهة الجوانب القمعية للتعليم .

ويرى جيروكس أن نظريات إعادة الإنتاج والتوالد قد قللت من شأن أهمية حرية الإنسان والاختيار الذاتى فى التعليم ويرى أنه كثيرا ما ينظر إلى المدارس على أنها مصانع أو سجون ويتصرف المدرسون ومثلهم الطلاب كمجرد أدوات ومنفذين لتوجهات وسيطرة النظام الرأسمالى ولهذا أهملت فكرة أن الناس يصنعون التاريخ بما فى ذلك قيوده ، ومن ناحية أخرى فقد اكتسبت نظريات المقاومة قدرا من العالمية والأحياء ، بالنسبة للطبقات والجماعات الثانوية .(٧)

لذلك فما يفعله الطلاب ليس مجرد نتيجة لعوامل خارجية تؤثر عليهم ولكنها معتمدة جزئيا من قراراتهم وتصرفاتهم الخاصة . ويعبر Giroux عن ذلك بقوله : من أهم فروض نظرية المقاومة أن الطلاب من الطبقة العاملة ليسوا مجرد منتج ثانوى لرأس المال بل إنهم يخضعون فى تذمر لما يمليه المدرسون والمدارس صاحبة السلطة والتى تعدهم لحياة العمل . انها تمثل المدارس حلبة صراع تتميز ليس فقط بالتناقضات الشكلية والأيديولوجية إنما تتميز أيضا بالمقاومة الجماعية الواعية للطلاب .(٧) فالمدارس إذن ، مواقع للصراع الأيديولوجى والتنافس بين الثقافات الطبقية المتنافسة .

ويرى عبد السميع أن التربية بخصائصها المتعارف عليها لدينا يمكن أن تفرز الشخصيات التالية(٨) :

١ - الشخصية المسايرة :

تتمثل هذه الشخصية فى التلميذ الذى يساير ما تتوقع المدرسة منه إذ يستدخل قيمها وقواعدها ويصير " عضوا مبرمجا " . وهو يتقبل واقعه داخل المدرسة وبنيتها الهرمية ، يعمل ما يطلب منه ويتوحد مع المنظمة ويصير عضوا نشطا فيها ويمثل الدور تمثيلا جيدا . وفى سبيل هذا يسيطر على مهارات معينة ليكون نموذجا مثاليا . إنه لا يسيطر على المنهج الدراسى فحسب ، بل هو أيضا مطيع ، قادر على ضبط نفسه بالصبر ، يخ

السلطوية : الطابع المميز للتنشئة المؤسسية :

إن السلطوية هى السمة الأساسية لعدد من الأنظمة السياسية العربية ، حيث يتسم بناؤها السياسى بتركيز السلطة فى يد قلة تتحكم فى المجتمع ، وكثيرا ما تعمل تلك القلة على حرمان مواطنيها من المشاركة ومصادرة حقوقهم الأساسية وحريتهم . فشكاوى المواطنين فى عدد من البلدان العربية بشأن افتقاد حق أو حرية الاعتداء على حق أو حرية شملت تقريبا كل الحقوق أو الحريات التى يحتويها " الإعلان العالمى لحقوق الإنسان " بدءا من الأقل أهمية وانتهاء بالأهم . ومن الوسائل الأساسية التى تستخدمها بعض الأنظمة السياسية السلطوية لنشر ثقافتها ، الإعلام والتربية ، اللذين يقومان بدور كبير فى ترويض المواطن وإبعاده عن التفكير والنقد والتساؤل والاعتراض ، وتشكيل شخصيات امتثالية تتميز بالجمود والسكون .(١١)

وفيما يتعلق بطابع القيم والمفاهيم السائدة أجواء الأسر المتسلطة ، تبرز قيم : العنف والإكراه والقسر والخضوع ، والعلاقة العمودية ، وغياب قيم المودة والتفاهم والحوار والمحبة ، وعلاقات التجافى القائمة على مبادئ التباين بين أطراف هذه العلاقة . فالعلاقات القائمة فى بيئة التسلط هى علاقة قوامها مركب ، العلاقة بين الكبير والصغير ، بين القوى والضعيف ، بين السيد والمسود ، بين الغالب والمغلوب ، بين الآمر والمأمور ، وذلك كله دون وجود حدود وسطى لطبيعة التطرف فى هذه العلاقات القائمة بين أفراد الأسرة . وغالبا ما تسود فى هذه الأوساط التربوية المتسلطة العلاقات التى تفتقر إلى الحب والحنان والدعم النفسى والتفاهم ، والحوار بين المعلمين ، وبين الآباء والأبناء ، فمناخ التسلط يتميز بهيمنة التنافر العاطفى وأساليب التعنيف وانفعالات الغضب والعدوان ونزعة القوة والقهر ، حيث يفرض الآباء على الأبناء أنماط سلوكهم وأنماط تفكيرهم .(١٢)

حيث تقوم بنية العائلة العربية على أساس الطاعة ، حيث يتوجب على الصغار الطاعة العمياء للكبار ، وذلك فى إطار علاقة سلطوية مفعمة بالإكراه . فالتواصل بين الكبار والصغار يتم عموديا ويأخذ طابع الأوامر والتهديد والتلقين والمنع والتخويف والتوبيخ والتنديد والاستهزاء والإذلال والشتم والتحريم والشعور بالذنب والقلق . وقد يقترن هذا من فوق إلى تحت بالعقاب والغضب والصفع والإخضاع ، أما التواصل من تحت إلى فوق فيأخذ طابع الإصغاء والانصياع والاسترحام والتذلل والتجاوب ، ويقترن ذلك بالبكاء وإحناء الرأس ، وإخفاء الأسرار والمشاكل والقلق والخوف والرضوخ . فالتربية العربية هنا تشدد على العقاب الجسدى والترهيب ، أكثر مما تشدد على الإقناع وتركز على مبدأ الحماية والطاعة والامتثال والخوف من الأخطار وتجاوز الخطة المرسومة حيث تنشأ عن ذلك نزعة نحو الفردية والأنانية والتأكيد على الذات والإحساس الشامل بالغربة والاغتراب .

ويصف هشام شرابى فى كتابه مظاهر العنف والقهر التى يعانيها الطفل العربى ، أو هذه التى تسود فى إطار التنشئة الاجتماعية فيقول : يشعر الطفل العربى بأن أباه يضطهده ، وهو فى الوقت نفسه يشعر بأن أمه تسحقه وتحطم شخصيته . فالتنشئة العربية تنمى فى الطفل الإذعان للسلطة والخوف منها . كما أن أساليب التخجيل والتهكم والازدراء والتبخيس ، وخلق الإحساس بالدونية ، كلها أساليب تؤدى إلى عقد النقص والقصور والشعور بالذنب ، فالطفل العربى يتعلم كيف يقمع عدوانيته تجاه السلطة وكيف يتحاشى مواجهتها وهذا ما يؤدى إلى الاتكالية والخضوع . وتسعى التنشئة الاجتماعية العربية إلى إخضاع الفرد وكسر شوكته . فالتنشئة العربية تشدد على العقاب الجسدى والترهيب أكثر مما تشدد على الإقناع وتؤكد على أهمية الضغط الخارجى والتهديد والقمع السلطوى ، إنها تركز على مبدأ الحماية والطاعة والامتثال والخوف من الأخطار وتجاوز الحدود المرسومة حيث تنشأ عن ذلك

نـــزعة نمـــو الفـــردية والأنانـــية والتأكيد على الذات ونمو الإحساس الشامل بالغربة والاغتراب .(١٣)

وتؤكـــد العديد من الدراسات على خطورة التنشئة العربية القائمة على الأوامـــر والطاعـــة العمـــياء فـــى ظهور وانتشار أساليب القمع والتسلط فى مؤسساتنا التربوية ويرى أن بنية العائلة العربية تقوم على أساس الطاعة حيث يتوجـــب على الصغار الطاعة العمياء للكبار ، وذلك فى إطار علاقة سلطوية مفعمة بالإكراه . فالتواصل بين الكبار والصغار يتم عموديا ويأخذ هذا الاتجاه من فوق إلى تحت طابع الأوامر والتهديد والتلقين والمنع والتحذير والتخويف والتوبيخ والتنديد والاستهزاء والإذلال .

الشارع : فضاء للبحث عن الهوية :

إن جـــو الأســـرة ، بالنسبة للطفل والمراهق ، يظل جوا رتيبا ومغلقا يغلـــب علـــيه الروتين مما يشعر الطفل والمراهق بالملل وبرغبة الانفلات من رقابـــة الأســـرة ، خاصة عندما يسود الأسرة جو من السلطوية المبالغ فيها . وفى الشارع ، ومع الرفاق ، يتحرر الطفل أو المراهق من جو السرة الممل ، ويقـــيم علاقـــات مع أمثاله لا يمكن أن يقيمها داخل الأسرة ، كل ذلك يشعره بالـــتجدد والتنوع والمتعة . وجو الأسرة يظل – فى نظر الطفل والمراهق – مرتبطا بالواجبات المدرسية وبأوامر ونواهى الوالدين وبالقيام ببعض الأعمال المنزلـــية ... وقلما يتيح جو الأسرة ممارسة الأطفال والمراهقين لهواياتهم ، وإن مورســـت بعـــض هذه الهوايات فإنها تبقى خاضعة لمراقبة الوالدين مما يقلـــل مـــن متعتها . إن استمرار الأسرة فى معاملة المراهق كالطفل ، وعدم مـــراعاتها للتغيرات الفيزيولوجية والنفسية التى طرأت على جسمه وشخصيته تجعلـــه يضـــيق ذرعـــا بالمنزل وبعالم الأسرة بصفة عامة ، ويبحث خارج

المـــنزل عن علاقات جديدة مع أمثاله من المراهقين مما يعطيه شعورا بالأمن ويساعده على بناء هويته المستقلة .(١٣)

والتغيرات المفاجئة التى تنتاب المراهق وما يرافقها من مشاعر القلق والخوف ، بالإضافة إلى توتر العلاقات بين المراهق وأسرته بسبب عدم تفهم هـــذه الأخيرة واقع المراهق ورغباته وحاجاته ... كل ذلك من شأنه أن يدفع المـــراهق إلـــى خارج منزل الأسرة ، أى إلى الشارع ، هربا من جو الأسرة وبحـــثا عن الرفاق من أمثاله الذين يتقبلونه ويتبادلون معه المشاعر والخبرات بعـــيدا عـــن أيـــة ســـلطوية ، مما يتيح له فرصة للحوار وتأكيد الذات والثقة بالـــنفس . ويجب أن يتفهم الآباء هذه الرغبة لدى المراهق ،رغبة الخروج من المـــنزل ، ولا يبالغون فى إبداء مشاعر الخوف والقلق عندما يخرج ، إذ من شـــأن ذلـــك أن يعطـــى المـــراهق مبررا جديدا للإصرار على الخروج من المـــنزل ، خاصـــة إذا علمنا أن المراهق يميل إلى تحدى سلطة الكبار وإلى التحرر من أوامرهم ونواهيهم .(١٤)

وبخـــروج المـــراهق إلـــى الشارع والتحاقه بزمرة الرفاق يبحث عن هويـــته الجديدة كمراهق والتى لم يتمكن من تلمسها داخل الأسرة . وكثيرا ما نـــرى تجمعات للمراهقين فى بعض الشوارع أو الساحات العمومية أو مداخل العمـــارات يتـــبادلون الأحاديـــث والـــنكات أو يغنون ويصرخون أو يركبون الدراجات النارية ، أو يمارسون الألعاب الرياضية فى أماكن خالية .. وكأنهم بأعمـــالهم هـــذه يـــريدون إثارة انتباه الكبار إليهم وانتزاع الاعتراف بهم من طـــرف الكـــبار ، وقـــد يلجأ المراهقون إلى العنف أحيانا لمجرد رغبتهم فى تحـــدى الكـــبار وفـــى أن يعـــترف بهم وبهويتهم المستقلة . ومن المعلوم أن المـــراهق ينـــتابه شـــعور بالبحث عن الهوية ، فهو يرغب فى تجاوز مرحلة الطفولـــة مـــن ناحـــية ، ومن ناحية أخرى يرغب فى الاندماج بعالم الكبار ، فالتغيرات الفزيولوجية والنفسية التى طرأت عليه تشعره بأنه لم يعد طفلا وأن

عليه تخطى مرحلة الطفولة ... إلا أن استمرار تبعيته لوالديه وعدم توفره على وسائل الاستقلال عنهما تجعله يعيش وضعا متأرجحا يبحث فيه عن هويته كإنسان له رغباته وشخصيته وآراؤه .. فى هذه المرحلة اشبه " بمسافر فقد جواز سفره على الحدود . فلا هو يستطيع التخلص من الطفولة وبراءتها وقلة جبرتها ، ولا هو أصبح راشدا وسط الراشدين " .(١٥)

أطفال الشارع وثقافة الخوف :

إن أطفال الشارع ، أو الأطفال المشردين ، غالبا ما يعانون من شعور دائم بالخوف وانعدام الأمن ، ويعتبر بحثهم عن الأمن من أهم العوامل التى دفعتهم إلى مغادرة أسرهم التى لا توفر لهم هذا الشعور ، ولا تضمن لهم الحد الأدنى من الشروط لإشباع حاجياتهم ورغباتهم . وهؤلاء الأطفال ، وقد استسلموا إلى فضاء الشارع ، يخافون من مطاردة رجال الأمن لهم ، وملاحقة بعض الكبار الذين يتخفون من السلوكيات المنحرفة لأطفال الشارع (سرقة ، تخريب ، إثارة الفوضى .. الخ ، أو من اعتداء بعض المنحرفين من الكبار لاسيما المنحرفين جنسيا ، وفى محاولتهم التغلب على مخاوفهم يلجأ أطفال الشارع إلى ارتكاب أفعال معينة بقصد تخويف الآخرين منهم . فكأنهم ، بسلوكهم هذا ، يحاولون التخلص من مشاعر الخوف التى يعانون منها بإثارة الخوف لدى الآخرين الذين يحتكون بهم فى الشارع . إن تخويف الآخرين ، بالنسبة لطفل الشارع ، هو بمثابة خطاب موجه للآخرين للاعتراف به كإنسان لا يختلف عن غيره من البشر ، فكأنه يريد أن يقول للآخرين إذا لم أحظ بحبكم واحترامكم ، فلتخافوا منى على الأقل . وهذه النوعة التدميرية لدى أطفال الشارع هى انعكاس للقلق الذى يعانون منه بسبب إقصائهم وتهميشهم ، إقصاء من طرف أسرهم التى نبذتهم أو تخلت عنهم أو أهملتهم أو تعمدت دفعهم إلى الشارع ، وتهميش من طرف المجتمع الذى لا

يأبـــه لوجودهـــم فـــى الشـــارع حيث لا يشعرون بالأمن ويتوقعون المطاردة والاعتداء فى أية لحظة .[١٦]

وتـــتعمق احتمالـــيات انحراف الطفل وتفجر مكامن الإحباط والعدوان لديـــه فـــى ظل تفاقم حدة التفاوت الطبقى فى المجتمع ، وتمادى الفجوة التى تفصل بين الأغنياء والفقراء ، وذلك فى ظل إخفاق السياسات الحكومية – فى بلـــدان عربـــية كثـــيرة – فـــى تقليص مساحة تلك الفجوة ، إن لم تساهم فى زيادتهـــا ، نتـــيجة للـــتحالف الحميم القائم بين النخب السياسية والاقتصادية ، والذى يزداد قوة ورسوخا على حساب الفئات المحرومة والمستضعفة .

وفـــى سياق مناقشة الآثار الناجمة عن عمالة الأطفال ، يرى البعض أن للظاهـــرة آثارا إيجابية نافعة ، فثمة من يرى أنها تؤمن فى بعض الأحيان دخـــلا يحمـــى الأسرة من الجوع ، ويقيها مؤونة سؤال الناس ، وبالرغم من الصـــحة الظاهرية لهذا الرأى ، إلا أنه قد يشكل مبررا يحاول تسويغ الظاهرة وعـــدم اتخاذ الإجراءات الضرورية لمجابهتها ، مبرئا فى الوقت ذاته المجتمع بتشـــكيلاته المختلفة من تحمل مسءولية مواجهة تلك الظاهرة .وإذا افترضنا جـــدلا أن لعمالـــة الطفـــل دورا فى تنمية قدراته على التعامل مع الآخرين ، وإكســـابه خـــبرات وســـمات شخصـــية قويـــة تؤهله لمجابهة تحديات الحياة وصـــعوباتها ، فإن من الضرورى التأكيد على أن تلك الخبرات تأتى فى غير وقتها الملائم ، كما أنها تتسم غالبا بالطابع اليدوى البسيط الذى لا يترك للطفل مجالا واسعا لإعمال عقله وتنمية مداركه وقدراته الذهنية .

وفـــيما يـــتعلق بالـــرأى الذى يذهب إلى أن لعمالة الأطفال فضلا فى تـــزويد الأطفال العاملين بمشاعر الرضى الذاتى والإحساس بالتفوق والكفاءة الشخصية ، نتيجة إسهامهم فى تأمين المتطلبات المعيشية لأسرهم ، نرتئى أن تلـــك المشاعر الإيجابية التى قد يكتسبها الأطفال العاملون سرعان ما تتضاءل أمام فداحة إحساسهم بالقهر ، والاغتراب ، والانسحاق ، وأمام خطورة الآثار التى تتركها على خبراتهم السيئة فى جوانب حياتهم المختلفة .[١٧]

المصادر :

(١) **سعيد إسماعيل على** ؛ فلسفات تربوية معاصرة ، عالم المعرفة ، العدد ١٩٨ ، الكويت ، ١٩٩٥م ، ص. ص ٢٢٥ – ٢٣١ .

(٢) **المرجع السابق** ؛ ص. ص ١٩١ – ١٩٣ .

(٣) **كمال نجيب** ؛ الديمقراطية والمنهج : ورقة بحثية مقدمة إلى مؤتمر التعليم والديمقراطية فى مصر ، الأهرام ، ص. ص ١٣ - ١٤ .

(٤) **المرجع السابق** ؛ ص. ص ١٤ - ١٥ .

(٥) **M. Apple;** Education and power, Routhedge and Kegan Paul, London 1982, p. 69.

(٦) **H. Giroux;** theories of reproduction and resistance in the New Sociology of education : A Critical Anlysis : Harvard educational Review, Vol. 53, np. 3, 1983, p.p. 257-259.

(٧) **I bid,** p. 260.

(٨) **I bid,** p. 260.

(٩) **عبد السميع سيد أحمد** ؛ دراسات فى علم الاجتماع التربوى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص ١٠٢ .

(١٠) **يزيد عيسى سورطى** ؛ السلطة فى التربية العربية ، المظاهر والأسباب والنتائج ، المجلة التربوية ، العدد السادس والأربعون ، المجلد الثانى عشر ، ١٩٩٨ ، ص. ص ٢٥٧ - ٢٦٠ .

(١١) **محمد صديق محمد حسن** ؛ التسلط التربوى وآثاره على مكونات الشخصية فى التربية ، مجلة محكمة تصدر عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم ، العدد ١٣٧ ، ١٣٨ ، السنة الثلاثون يونيو ، سبتمبر ٢٠٠٢ ، ص. ص ٥٦ - ٥٧ .

(١٢) **على أسعد وطفة ، على جاسم شهاب** ؛ السمات الديمقراطية للتنشئة الاجتماعية فى المجتمع الكويتى المعاصر ، دراسة فى الخلفيات الاجتماعية لاتجاهات طلاب المرحلة المتوسطة نحو أسلوب التعامل الديمقراطى للوالدين ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ١٧ ، العدد الأول ، ٢٠٠١ ، ص. ص ٢٣٤ - ٢٣٦ .

(١٣) **محمد عباس نور الدين** ؛ رؤية نقدية نفسية اجتماعية وتربوية ، المجلة العربية للدراسات الأمية والتدريب ، المجلد ١٦ ، العدد ٣٢ ، ص. ص ١٣٦ - ١٣٨ .

(١٤) **المرجع السابق** ؛ ص . ص ١١٥ - ١١٧ .

(١٥) **نفس المرجع** ؛ ص. ص ١١٧ - ١١٩ .

(١٦) **مصطفى حجازى** ؛ الأحداث الجانحون ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٥ .

(١٧) **خالد سليمان ، سوسن مرقة** ؛ أضواء على ظاهرة عمالة الأطفال ، عالم الفكر ، العدد (٥) المجلد (٥) يناير - مارس ٢٠٠٢م ، ص، ص ٢٠٢ - ٢٠٧ .

الدراسة الميدانية

الفصل الخامس

مناقشة نتائج الدراسة

مناقشة نتائج الدراسة

الحـــالات الـــتى تناولـــتها الدراسة بالفحص هى عينة ممثلة قد تكون صغيرة إلى حد ما ولكنها نماذج لحالات كثيرة لأطفال الشوارع فى مجتمعنا. تراوحـــت أعمـــار هـــؤلاء الأطفال فى جملة الحالات التى تمت دراستها من ١٤ : ١٧ عامـــا وبالطبع لم يكن فى حالة طفل الرابعة عشر أو السابعة عشر هـــى الحالـــة العمرية التى اندفع فيها إلى الشارع لكن تم احتضان الشارع فى غالبـــية الحالات من سن ٨ ، ١٠ سنوات تقريبا باستثناء حالة واحدة خرجت إلى الشارع فى سن السادسة عشر – وتراوحت أسباب اللجوء إلى الشارع ما بيـــن الظـــروف المنزلية القاسية نتيجة لموت أحد الأبوين وزواج الآخر ، أو مـــوت أحدهـــم أو الطلاق الكلى أو الجزئى والذى يرجع فى جملته إلى سوء الأحـــوال الاقتصادية والاجتماعية لهذه الأسر بالإضافة إلى كثرة عدد الأبناء وعـــدم قـــدرة الأســـرة على إعالتهم . وعلى حد قول أحد الحالات " قضيت طفولـــتى مـــع أم قاسية وأخ مؤذ جسديا – لم يكن باستطاعتى رؤية أصدقائى وكنـــت عندما أخرج علىّ أن أبقى أمام المنزل – أعتقد أننى يمكن أن أصنف نفســـى مع المشردين لأن ما عشت فيه لم يكن منزلا لأن المنزل يعنى الأسرة والمـــناخ الأســـرى الطيب وتكاتف أسرى فى القيام بالأشياء . الوقت الوحيد الذى كنت أشعر فيه بالجو الأسرى هو عندما كنت أشجع " . ترتب على ذلك تســـرب هؤلاء الأبناء من المدارس فى سن مبكرة ، فقصور الرعاية المنزلية لهؤلاء الأبناء كان سببا فى ضعفهم الدراسى وعدم قبولهم للمدرسة إضافة إلى صـــور القهر المتعددة التى يلقاها هؤلاء فى المدرسة سواء من إدارة المدرسة أو مدرســـيهم أو حـــتى زملائهـــم الذيـــن يتباينون عنهم اقتصاديا واجتماعيا وســـلوكيا . فالأســـرة لفظت هذا الصغير لعدم استطاعتها إعالته ورعايته بل

والأكـثر من ذلك إنها دفعت به ليكون مصدر رأس مال لها أو لنفسه وتتنحى هـي عـن وظيفتها المنوطة بها . والمدرسة كانت إحدى عوامل الطرد لأنها تبحـث عـن نوعـية متميزة فى هذا الطفل وليس هذا الطفل المكبل بكل هذه القـيود ، والطفل أيضا ساهم فى ذلك فلم يدافع عن حقه الطبيعى فى أن يعيش معيشـة حـتى ولـو بسيطة فى محيط الأسرة أو المدرسة فاندفع إلى الفضاء الواسع " الشارع " وبالطبع لم يكن هذا الفضاء الواسع أكثر رعاية من الأسرة أو المؤسسـة الـتربوية لكـن كان خليطا من مجموعة من المتناقضات الألفة والـتى قـد تكـون ألفة صبية الشارع ، هؤلاء فى علاقاتهم بعضهم البعض بالطـبع فـي حـدود مصالحهم المشتركة وقد تنعكس هذه الألفة إلى كراهية وعـداء إذا تضاربت المصالح ، هذا من ناحية الأطفال ومن ناحية الآخر فى الشارع قد يكون القمع والتسلط والقهر من قبل المهيمنين على مصادر الرزق أو رجال الشرطة أو الآخرين بالشارع . فهذا الشارع لا يوفر مقومات الأمان لهـذا الطفل من مأوى وملبس ومسكن وخلافه فمن الطبيعى أن يبحث الطفل عـن ذلـك لكنه غير مؤهل علميا أو عمريا أو بدنيا ليلتحق بنوعية من العمل تضمن له المعيشة الكريمة فيلجأ هؤلاء الصبية كما تبين من سرد الحالات إلى امتهان مهن وضيعة كالتسول ، تلميع الأحذية ، جمع القمامة أو مسح العربات أو بيع السلع التافهة كالمناديل الورقية وغيرها أو يستغلهم مروجى السموم أو تجـار الجنس أو يلجأوون للسرقة لكى يعيشوا ويكون الشارع فى هذه الحالة مصـدر رزق ومأوى وتنقطع صلة هؤلاء بأسرهم بصفة دائمة ، أو يذهبون لأسـرهم على فترات حيث تساهم فى لفظهم مرة أخرى فيلجأ الطفل إلى قطع صـلته بهـم حفاظا على مصدر رزقه الذى يعيش منه وتبدل المنزل ومكان المبيـت بأسـفل الكوبرى أو وسط أكوام الزبالة أو مدخل منزل بصفة عامة الشـارع .. ويصبح هذا الطفل فى هيكله ولون بشرته وشكل ملابسه انعكاس لظروفه الاقتصادية والاجتماعية .

أوضحت البيانات الخاصة بالخلفية الاقتصادية والاجتماعية لأسر المبحوثين حالات الدراسة والتى ساهمت بصورة فعالة فى وصول هؤلاء إلى ما وصلوا إليه من تشرد وضياع أن الغالبية من الآباء والأمهات كانت أعمارهم تقترب من الأربعين ، والأسرة تضم من ٦ إلى ٨ أفراد باستثناء حالة واحدة كان عمر الأب والأم معقولين إلى حد ما " حالة رقم ٦ " وأب فى حالة أخرى كان متقدم فى السن وكان ميت ، تراوحت الظروف الاجتماعية لهؤلاء ما بين وفاة الأب ، الطلاق ، هجر أحد الزوجين للآخر والنزاعات المتكررة ، الدخول كانت محدودة فالمهن هامشية تباينت ما بين العمل فى الوظائف الخدمية كعامل التليفون وفراش الجامع ، أو بائع ، بائعة الخضار ، الخدمة المنزلية ، توزيع أنابيب الغاز ، جمع القمامة باستثناء الأب فى الحالة رقم (٦) ، الدخول بالطبع محدودة وكما ورد على لسان الحالات " رزق يوم بيوم والنصيب على الله أو أهل الخير .... الخ " . المنازل كانت لا تختلف عن ما ورد ذكره ، فكما ورد على لسان الحالات حجرة بمنزل قديم ، أو كشك ، أو عشة فى مقلب القمامة أو شقق تضم غرفة كبيرة وأخرى صغيرة تضم ٨ أفراد " حالة رقم ٢ ، ٨ " بالطبع إلى جانب الإقامة فى الأحياء المتخلفة والتى يطلق عليها العشش أو الجيوب . فالفقر الاقتصادى والاجتماعى لهذه الأسر لم يوفر ولن يوفر الأمن الاجتماعى والاقتصادى هؤلاء الأطفال فكانت الأسرة والشارع بالنسبة لهؤلاء ليسا بالنقيضان ولكنهما ستماثلان بل بالعكس الشارع سوف يوفر فى أضيق الحدود لقمة العيش أيا نوعها . وكما جاء على لسان أحد الحالات " أنا بكره كل الأطفال الغنية انتقم منهم . هو المجتمع ده عملنا أيه جاب لنا أب وأم يا ربتهم ما حد بيتغاظ لما بيشوف الأطفال فى التليفزيون لهم بيوت عايشين فيها لوس كثيرة ، الحاجات دى بتخلى الواحد يفكر فى الموت والانتحار لزمة فى الحياة . لكن الحالة رقم (٦) كانت الخلفية الاقتصادية

والأكـثر من ذلك إنها دفعت به ليكون مصدر رأس مال لها أو لنفسه وتتنحى هـى عـن وظيفتها المنوطة بها . والمدرسة كانت إحدى عوامل الطرد لأنها تبحـث عـن نوعـية متميزة فى هذا الطفل وليس هذا الطفل المكبل بكل هذه القـيود ، والطفل أيضا ساهم فى ذلك فلم يدافع عن حقه الطبيعى فى أن يعيش معيشـة حـتى ولـو بسيطة فى محيط الأسرة أو المدرسة فاندفع إلى الفضاء الواسع " الشارع " وبالطبع لم يكن هذا الفضاء الواسع أكثر رعاية من الأسرة أو المؤسسـة الـتربوية لكـن كان خليطا من مجموعة من المتناقضات الألفة والـتى قـد تكـون ألفة صبية الشارع ، هؤلاء فى علاقاتهم بعضهم البعض بالطـبع فـى حـدود مصالحهم المشتركة وقد تنعكس هذه الألفة إلى كراهية وعـداء إذا تضاربت المصالح ، هذا من ناحية الأطفال ومن ناحية الآخر فى الشارع قد يكون القمع والتسلط والقهر من قبل المهيمنين على مصادر الرزق أو رجال الشرطة أو الآخرين بالشارع . فهذا الشارع لا يوفر مقومات الأمان لهـذا الطفل من مأوى وملبس ومسكن وخلافه فمن الطبيعى أن يبحث الطفل عـن ذلـك لكنه غير مؤهل علميا أو عمريا أو بدنيا ليلتحق بنوعية من العمل تضمن له المعيشة الكريمة فيلجأ هؤلاء الصبية كما تبين من سرد الحالات إلى امتهان مهن وضيعة كالتسول ، تلميع الأحذية ، جمع القمامة أو مسح العربات أو بيع السلع التافهة كالمناديل الورقية وغيرها أو يستغلهم مروجى السموم أو تجـار الجنس أو يلجأوون للسرقة لكى يعيشوا ويكون الشارع فى هذه الحالة مصـدر رزق ومأوى وتنقطع صلة هؤلاء بأسرهم بصفة دائمة ، أو يذهبون لأسـرهم على فترات حيث تساهم فى لفظهم مرة أخرى فيلجأ الطفل إلى قطع صـلته بهـم حفاظا على مصدر رزقه الذى يعيش منه وتبدل المنزل ومكان المبيـت بأسـفل الكوبرى أو وسط أكوام الزبالة أو مدخل منزل بصفة عامة الشـارع .. ويصبح هذا الطفل فى هيكله ولون بشرته وشكل ملابسه انعكاس لظروفه الاقتصادية والاجتماعية .

أوضحت البيانات الخاصة بالخلفية الاقتصادية والاجتماعية لأسر المبحوثين حالات الدراسة والتى ساهمت بصورة فعالة فى وصول هؤلاء إلى ما وصلوا إليه من تشرد وضياع أن الغالبية من الآباء والأمهات كانت أعمارهم تقترب من الأربعين ، والأسرة تضم من ٦ إلى ٨ أفراد باستثناء حالة واحدة كان عمر الأب والأم معقولين إلى حد ما " حالة رقم ٦ " وأب فى حالة أخرى كان متقدم فى السن وكان ميت ، تراوحت الظروف الاجتماعية لهؤلاء ما بين وفاة الأب ، الطلاق ، هجر أحد الزوجين للآخر والنزاعات المتكررة ، الدخول كانت محدودة فالمهن هامشية تباينت ما بين العمل فى الوظائف الخدمية كعامل التليفون وفراش الجامع ، أو بائع ، بائعة الخضار ، الخدمة المنزلية ، توزيع أنابيب الغاز ، جمع القمامة باستثناء الأب فى الحالة رقم (٦) ، الدخول بالطبع محدودة وكما ورد على لسان الحالات " رزق يوم بيوم والنصيب على الله أو أهل الخير .... الخ " . المنازل كانت لا تختلف عن ما ورد ذكره ، فكما ورد على لسان الحالات حجرة بمنزل قديم ، أو كشك ، أو عشة فى مقلب القمامة أو شقق تضم غرفة كبيرة وأخرى صغيرة تضم ٨ أفراد " حالة رقم ٢ ، ٨ " بالطبع إلى جانب الإقامة فى الأحياء المتخلفة والتى يطلق عليها العشش أو الجيوب . فالفقر الاقتصادى والاجتماعى لهذه الأسر لم يوفر ولن يوفر الأمن الاجتماعى والاقتصادى لهؤلاء الأطفال فكانت الأسرة والشارع بالنسبة لهؤلاء ليسا بالنقيضان ولكنهما بالمتماثلان بل بالعكس الشارع سوف يوفر فى أضيق الحدود لقمة العيش أيا كان نوعها . وكما جاء على لسان أحد الحالات " أنا بكره كل الأطفال الغنية وعايز انتقم منهم . هو المجتمع ده عملنا أيه جاب لنا أب وأم يا ربتهم ما م . الواحد بيتغاظ لما بيشوف الأطفال فى التليفزيون لهم بيوت عايشين فيها عاهم فلوس كثيرة ، الحاجات دى بتخلى الواحد يفكر فى الموت والانتحار ان ملناش لزمة فى الحياة . لكن الحالة رقم (٦) كانت الخلفية الاقتصادية

والاجتماعية متباينة بالنسبة للحالات الأخرى ، فالأسرة متماسكة يعيش الزوج والـزوجة والأخـوة الإناث ظروف طبيعية لكن ما ورد على لسان الحالة أنه جـاء بعد انتظار فكان مدللا ، كان الوحيد الابن الذكر وبالطبع كان هذا يشفع لـه فى مرحلة عمرية معينة قد تكون وهو صغير ، ولكن حينما يكبر وتستمر معـه سـلوكياته هـذه فالوضـع يخـتلف ، وكان متمردا فاندفع إلى الشارع وسـاهمت الأسـرة أيضا فى دفعه إلى الشارع ، ولقى نفسه وأثبت ذاته وسط رفـاق السوء فبالطبع تساهم الخلفية الاجتماعية والاقتصادية فى الدفع بهؤلاء إلى الشارع ولكن قد تساهم عوامل أخرى كمحاولة الأسرة ضبط سلوك أبنائها ولكن يأتى هذا الضبط بصورة أكثر عنفا وأكثر قمعية وتسلطية قد تدفع هؤلاء إلى جانب استعدادهم للانطلاق إلى الشارع . وهكذا تتباين الخلفية الاجتماعية والاقتصادية الأسرية لهؤلاء الأطفال لكن تتفق فى مجملها رغم تباين درجات هـذه الخلفـية فى أن هناك آليات معينة تساهم مساهمة فعالة فى تشرد هؤلاء الأطفال . أضف إلى ذلك أنه إلى جانب الخلفية الاقتصادية والاجتماعية والتى أفـرزت هؤلاء الأحداث المتشردين لكن الشواهد تؤكد وجود آليات أخرى فقد ذكـر أحد الحالات : " أن الأسباب الرئيسية وراء تسربى من المدرسة القمع والمعاملـة السـيئة الـتى كنت أتلقاها من المدرسين وإدارة المدرسة والنظرة المتدنية لى من قبل زملائى " . وذكر آخر " ان المعاملة القاسية فى المؤسسة العقابية التى كانوا يلحقونى بها منذ الصغر من أول فعل إجرامى ارتكبته بدلا من أن تقوم سلوكى جعلتنى أكثر إجراما " .

كشـفت المعطـيات الميدانـية الخاصـة بالمعرفة السياسية للحالات موضـوع الدراسـة عن درجة من الوعى لدى هؤلاء ، كما اتضح فى سرد الحالات فقد أكدت كل الحالات على معرفتهم لرئيس الدولة فقد ذكروه بالاسم " حسـنى مـبارك " وجاء على لسان حالة من الحالات وأولاده وعن رؤساء الدولـة السـابقين فقد ركزت معظم الحالات على الرئيس السادات ، والبعض

ركـــز على الرئيس " عبد الناصر " وآخرين ذكروا الملك والإنجليز ، وكانت هناك تعليقات من قبل بعض الحالات على عصور البعض من هؤلاء الرؤساء كقولهم " أيام جمال عبد الناصر كانت كويسة والشعب يحبه " أو أن " السادات كـــان عهده عهد خير وكان هناك شغل ياما " . وعن معرفة هؤلاء بالزعماء السياســيين ذكـــر البعض مصطفى كامل ، وذكر البعض سعد زغلول . وعن الأحـــزاب احتلت المعرفة بالحزب الوطنى مكان الصدارة كما ورد على لسان الحـــالات " دول بتوع الحكومة " ، والقليل منهم ذكر حزب الوفد والعمل كما ورد علـــى لســـان الحالة رقم (٦) ، حالة رقم (٨) كانت معرفتها السياسية منعدمة أو يفتعل ذلك بعد ما شاهده من ضرب للمظاهرات أيام غزو العراق . وعـــن رؤســـاء هـــذه الأحزاب جاءت الاستجابات بالسلب بينما كانت النتائج الإيجابـــية متعلقة بمعرفة رئيس مجلس الشعب لدى حالة واحدة ، ربما لكثرة تكرار الأسماء أيام الانتخابات كما أن وكيل مجلس الشورى كان من المحافظة وســـله مدة خاصة أن هذه الحالات يتم استخدامها أيام الانتخابات فى الهتافات ، وعـــن المعـــرفة برئيس الوزراء والوزراء كانت الاستجابات ضعيفة باستثناء المقابلات الجماعية التى كان يردد الاسم فيها على لسان أحد الحالات " رقم ٦ " والذى ذكر فلان بتاع الخصخصة ، وكانت الإجابة من قبل المعلمين الكبار. وعـــن المعرفة برؤساء الدول العربية وغيرهم فقد أشارت بعض الحالات إلى معـــرفة " صدام حسين وياسر عرفات والقذافى والملك فهد " حتى أن البعض ذكـــر " صـــدام الـــ بيحارب أمريكا " و " ياسر بتاع فلسطين الـــ بتضربها إســـرائيل " ، " القذافـــى الـــ بيخاف من أمريكا " ، وتمت الإشارة إلى أمريكا بأنهـــا أمريكا " حوت العصر " ويرتبط ذلك بطبيعة الحال بغزو العراق وما شـــاهده الشـــارع من فعالية . وعن الحدود الجغرافية كان هناك إجماع على معـــرفة القطـــر العـــربى الشقيق ليبيا ، وارتبط فى ذهن هؤلاء بالهروب عن طـــريقه ، وأيضـــا فلسطين وأنه بإمكان إسرائيل محاربتنا عن طريقها . وعن

المـرافق الحـيوية الموجـودة بالدولـة كان هناك إجماع على قناة السويس والسـياحة وأسوان وإسكندرية والمصيف وشرم الشيخ وما يحدث به ، وذكر الـبعض المؤسسـات التعليمـية والمجهودات المتعددة للدولة . وعن مصادر المعـرفة السياسـية كـان هناك إجماع على " اننا نعرف عن طريق الإذاعة والتلـيفزيون والجرائد لمن يستطيع القراءة " حتى إن إحدى الحالات ذكرت " إنـى آخـذ ورق الجـرائد القديـم واقـرأه " ، وآخرين ذكروا أنهم يشاهدوا التلـيفزيون فى القهوة وكلهم ذكروا أن الناس تتحدث فى الشارع وفى القهوة وفـى المواصلات ، فى كل شئ ، واحتلت مساحة الحديث عن نواب الشعب مساحة كبيرة فيما يتعلق بمعرفة هؤلاء ودورهم السلبى فى خدمة المواطنين ، وذكـرت الحالات أن هؤلاء يسعون للترشيح لتحقيق مصالحهم فقط وليس من أجل خدمة الناس ، وأيضا فيما يتعلق برجال حزب الحكومة . كما ذكر هؤلاء معرفـتهم لـرجال الشرطة حيث أنهم كثيرو الاحتكاك بهم فهم يتعرضوا لهم باسـتمرار والعلاقة بهم ليست علاقة عادية لكنها علاقة يشوبها العنف والقمع والقهـر . وعلـى الـرغم من اتساع مساحة المعرفة السياسية على المستوى القطـرى والقومـى لدى هذه الشريحة من أبناء المجتمع والتى لم تتمتع بحظ وافـر من التعليم إلا أن المعرفة على المستوى المحلى لم تنل حيزا ولو قليل مـن هذه المساحة فلم يظهر هؤلاء معرفة برؤساء المؤسسات الخدمية إلا فى أضـيق الحدود ، وكانت المعرفة بنواب الشعب فى حدود ما يتم معرفته عن هـؤلاء بـأنهم أشـخاص انتهازيـين ووصـوليين ومنافقين ولا يسعون إلا لمصـالحهم ومصـالح ذويهـم . كما ظهرت اتساع مساحة معرفتهم برجال الشرطة لأنهم الجهة الرقابية بالنسبة لهم ، ظهرت أيضا معرفة هؤلاء بالدول المجاورة خاصة الدول التى تمثل بالنسبة لهم أهمية كفولهم " ليبيا على الحدود الـناس بـتهرب منها " . ويعكس ذلك ما يشغل ذهن هؤلاء من ناحية إذا ما أتيحت الفرصة للهرب خاصة لدى بعض الحالات كالحالة رقم (٦) ورقم (٢)

وآخريـــن غـــيرهم يســـمعون من أصدقائهم وربما كانت هذه الحالات الأكثر إجـــراما بالنسبة للحالات التى تم سردها كما هو موضح بالتفصيل فى الحالات وســـردها . وأشـــير بصفة عامة إلى أن المخدرات والعقاقير قد تختفى تحت الســـطح ويســـتغل الشارع كسوق للمال ومكان للبيع ويكثر صبية الشارع من استهلاك المخدرات والعقاقير كخلاص مؤقت من واقع لا يحتمل ، وفى أحيان كثـــيرة قـــد يســـتغلون فـــى أعمال تخريب وعنف فقد عبر هؤلاء فى لقاءات جماعية معهم بأن الجماعات المتطرفة كويسة وكانت هتصلح الأوضاع .

قـــد يظـــن البعض أنهم ممثلون لحشد صامت مجهول الاسم : أطفال الشـــوارع ، ممن يعيشون ويعملون وينامون وأحيانا يموتون دون رعاية ولا حمايـــة ، صعاليك يناضلون من أجل البقاء بطرق مشروعة أو غير مشروعة فـــى عـــالم الكـــبار العدائـــى الذى يلفظهم -- لكن مما تجدر الإشارة إليه فقد أوضـــحت المعطيات الميدانية عكس هذه الرؤية فمحاولة من الدراسة الوقوف علـــى درجـــة وعى هذه الفئة بالمشكلات المحلية تبين أن الأغلبية منهم أكدت علـــى مشـــكلة البطالة خاصة بطالة المتعلمين وعلى حد تعبيرهم كما ورد فى سرد الحالات جاء على لسانهم " طيب احنا عندنا ولاقيين شغل رغم اننا مش متعلمين أمال تعالى شوفى ناس معاها شهادات ليهم قد أيه ، خالى كان منتظر ابنه ليساعده فى تربية أخواته وأهو أخذ الشهادة وقاعد فى البيت ، ناس معاها شـــهادات بتشـــتغل فى المعمار ومع مقاولين .... ، مشكلة أخرى عبر عنها هـــؤلاء " مشكلة الزيادة السكانية " بقولهم " الله يكون فى عون البلد هتعمل أيه مـــع كـــل الســـكان دول ، احنا لينا كام سنة فى الكشك ، الناس بنت والشقق مقفولـــة مهم عايزين فلوسهم وبصراحة مش كل الناس تقدر تدفع الإيجار أو تشترى ، الحكومة معدتش قادرة تبنى للناس حتى العمارات الإيوائية لا توجد

أيضـــا أنه على مستوى البلاد الغنى غنى والفقير فقير ، لكن عادوا فى النهاية إلـــى القول بأن العرب ولن يستطيعوا عمل أى شئ ، كما ورد على لسانهم " كل واحد فى حاله والفسطينيين عمالين يتقتلوا والمسلمين فى كل البلاد بيتقتلوا ويتشردوا " .

قـــد يتماثل أطفال الشوارع كغيرهم من الفئات أو الشرائح الاجتماعية الكائـــنة داخـــل المجتمع لكنه تماثل من نوع آخر قد لا يكون تماثل مهنى فهم ليسوا بالطبع مثل الأطباء أو المهندسين أو أساتذة الجامعة أو غيرهم حتى من المهـــن الهامشـــية كعمال المعمار – لكنه تماثل من نوع آخر فهؤلاء لهم قيم خاصـــة بهم قد تتناقض مع قيم المجتمع أو قيم هذه الشرائح إلا أنهم كجماعة شديدى الحرص على آليات للدفاع لازمة لهم لضمان البقاء فى مثل هذه البيئة الـــتى توفـــر الحماية والرفاق لأسرة بديلة كما توفر لهم وضعا وإثارة وقواعد " شـــرف " . وهـــى قواعـــد يتقبلها الصبية عن طواعية تامة قد تكون عكس قواعد المجتمع التقليدى لكنها تلبى الحاجة إلى الشعور بالهوية الذى قد تعززه اللهجـــة والمصـــطلحات السائدة بينهم " اشكال الحديث ، مسميات الأشياء مثل القباب رجل الشرطة عندهم أو الشلل المعادية لهم أو ما شاكل ذلك " حرصهم علـــى قـــيم تسود بينهم كحق كل فريق فى منطقة عمله وعدم اعتداء الآخر ، عدم الإفصاح عن بعضهم البعض لرجال الشرطة ... الخ . فالذى يعتقد أنهم هـــياكل فارغة جوفاء لهو اعتقاد خاطئ وقد أوضحت المعطيات الميدانية أنه فـــيما يـــتعلق بقيم هؤلاء تجاه الوطن صدق هذه الرؤى حتى وإن كان هناك بعـــض التبايـــن فمن خلال تحليل الحالات وإجراء المقابلات الجماعية أظهر هـــؤلاء فى أغلب الحالات حبا للوطن بالطبع كانت هناك بعض التعليقات كما ورد علـــى لســـان الحـــالات " أحـــبه ولا مأحبوش رأي هيفيد بأيه احنا ناس غلابـــه ، بلدنـــا كويسة ، بس ياريت الغناى مياكلوش خيرها ، الرئيس حسنى مـــبارك راجـــل كويس " ، حالات أخرى ورد على لسانها " طيب هروح فين

البلاد كلها خربانة ، المشردين ماليين الدنيا ، ال تعرفه أحسن من ال متعرفوش " وورد على لسان البعض " حتى لما كانت الجماعات الإسلامية تستغلنا ونعمل أحيانا تخريب أو غيره كنا بنزعل رغم إن الجماعات كانوا ناس كويسين همه السبب ال خلى الناس برضه تلتزم اديكى شايفه الناس قد أيه متغطية ويمكن كانت الجماعات دى تكون أحسن من الناس ال سرقوا البلد " أوضحت الدراسة أيضا درجة عالية من المصداقية برؤى هؤلاء تجاه الحرية والديمقراطية وظهر ذلك فى تعبيراتهم " طول النهار الناس تتكلم والجرايد والمجلات ملياانة والراديو والتليفزيون لكن مفيش حاجة بتتغير وللأسف الفساد على كل المستويات مالى البلد دفع الفلوس علشان تخليص المصالح فى كل مكان وسرقة البنوك ، والقوى ياكل الضعيف وكل واحد يتعامل حسب وزنه ، وكل واحد تاجر يبيع بمزاجه والكلام فى كل حته غير الجرايد والمجلات وعلى القهاوى وفى الشوارع والمواصلات وأكيد الناس بتتكلم فى البيوت لكن يظهر الناس الكبار بيقولوا خليهم يتكلموا أهم سايبينهم يتكلموا حتى الكلام هيمنعوه كلام فى كلام " لكن أود الإشارة من خلال استقرائى للحالات وإجراء المقابلات الجماعية ان هناك شعور قد لا يظهر على السطح وهو أن كثيرا من أطفال الشوارع بعد أن تخلى عنهم المجتمع الأصغر – الأكبر فى كل منعطف وحذفهم من سجلاته ينظرون إلى المجتمع بازدراء ، لا مبالاة ، كهيكل فقط لكن ليس بمقدوره تحقيق الأمن والأمان لأبنائه .

طفل الشارع يحرص على البقاء من ساعة لأخرى ومن يوم لآخر ومن ثم فالمناقشة ضارية ويندر أن يعتبر أى نشاط لهؤلاء الأطفال مختلفا عن الآخر وإن كانت أكثر خطرا والشارع لهم هو عبارة عن غابة البقاء فيها للأقوى فى الكفاح من أجل الحياة ، ومن ثم تتعدد رموز السلطة لدى هؤلاء على مستوى الميكرو مجتمعهم الصغير إلى مستوى الماكرو أى المجتمع

الكبير وبالطبع كرمز السلطة من وجهة نظرهم سماته التى تميزه عن الآخرين كالقوة ، السلطة ، النفوذ ، السن قد يكون من يتسم بهذه السمات فى الجماعة الصغيرة إذا كان هناك مجموعة من الصبية يعملون فى منطقة معينة " ملمعى أحذية أو ذبالين " وقد يكون المعلم الكبير ، الشرطى ، الضابط ، مواطن عادى أو مهم قد يحس طفل الشارع بمكانته فى المنطقة أو الحى أو المجتمع المحلى ، تمارس عليه أيضا نوع من السلطة قيم الجماعة التى ينتمى إليها ولا يستطيع الخروج عنها ، رموز السلطة أيضا بالنسبة له معلمى القهاوى الذى يلجأ إليها أو حتى الجلسات البسيطة التى يعتاد عليها مثل جلسات السمر . فكل هؤلاء رموز سلطة لديه وجهة رقابية ومحاسبية على سلوكه . أما رموز السلطة على مستوى الماكرو من وجهة نظر هؤلاء فمثلت لدى الغالبية فى الرئيس حسنى مبارك " حاكم البلاد " وبالطبع الناس الكبار ال معاه ، الناس الغنى عندهم سلطة ولهم نفوذ ، يستطيعوا فعل أى شئ فكما ورد على لسان الحالات " يروح أى مكان ، يعمل أى حاجة ، الكل يحترمه ، مصالحه تخلص " وأخيرا علق هؤلاء قائلين " حد يقدر يعمل حاجة خاصة الناس الغلابة الشرطة قاعدة وعينها مفتوحة " . ومن الجدير بالذكر ان رموز السلطة فى الشارع وعلى المستوى المحلى وحتى على المستوى القومى أو الدولى تختلف عن رموز السلطة الطبيعية التى يتعامل معها الصبى فى السنوات الأولى من عمره والتى قد تتمثل فى الأب ، الأم ، زوج الأم ، زوجة الأب ، الأخ الكبير على مستوى الأسرة ، وناظر المدرسة والمدرس فى المؤسسة التربوية وهذه الرموز الطبيعية لا يستطيع الصبى الاختلاف معها أو ارتكاب أفعال لا ترضى عنها هذه المؤسسات لأنه فى هذه الحالة ينظر إليه على أنه ضد الدين أو متمرد على الأسرة أو خارج على المعايير أو ما شاكل ذلك خاصة فى عقوق الوالدين ، أو إثارة مشاكل للأسرة فى الحى ، ومن ثم فصور العقاب التى يتلقاها الصبى من الأب أو الأم أو

المـــدرس تـــترك بصماتها على هذا الصبى خاصة وقع التأثير النفسى عليه ، فالإهانة من الأقارب بصورها المختلفة لها أبعاد كثيرة . أما صور العقاب من المعلـــم أو رجـــل الشـــرطة تأثيراتها الجانبية أخف بكثير ، فهذا الآخر آخر بالنسبة له أما رموز السلطة الطبيعية فلهم وضع آخر ، ومن ثم فما يملكه هذا الصـــبى يتمـــثل فـــى هجرته وترك الساحة الطبيعية إلى الشارع ذلك الفضاء الفســـيح الـــذى يســـتطيع فيه تحقيق ذاته وإثبات هويته وإشباع رغباته وتلبية احتـــياجاته دون رقابـــة طبيعية . وحتى وإن كانت هناك رموز سلطة عقابية فهـــذه يتعامل معها وقتيا ومثله مثل الصبية الآخرين فى الشارع أنشطة واحدة أو مـــتقاربة ، ظروف واحدة ، وسائل إشباع متقاربة ، صور عقابية متماثلة ، الكـــل فـــيها سواء ، فصفعة رجل الشرطة أو المعلم أمام زملاء النشاط عادية مـــثله مـــثل الآخريـــن أمـــا صفعة الأب أو الأخ أمام الأخوة لها تأثير نفسى مغاير .

وممـــا تجدر الإشارة إليه أن نمط السلطة لدى هؤلاء وما عبروا عنه تفصـــيلا هـــو فى مجمله رؤية صادقة واقعية كونها هؤلاء بشأن نمط السلطة لديهـــم فحيـــن تناولـــت الحـــالات نمط السلطة على مستوى مجتمع Micro المتمثل فى الأسرة أو الكبير إلى حد ما أو نمط السلطة على مستوى Macro كانـــت رؤية هؤلاء رؤيتهم لنمط السلطة فى مجتمعه الصغير الخاص بهم هم فقـــط فكمـــا ورد على لسان الحالات وفى المقابلات الجماعية " مهى السلطة عايشة معانا على طول " ليست فقط ممثلة فى الأب أو الأخ الكبير أو الأم أو رجـــل الشـــرطة ولكنها ممثلة فى المعلم والمحاسيب فهناك معلمين كبار على رأســـهم كبـــير الكـــل وداخل هذا التجمع معلمين حسب المهن الخاصة بمسح الســـيارات وحمايـــتها ، الزبالين ، بائعى السلع التافهة أو ماسحى الأحذية أو الحرامـــية ، تجار الصنف ... الخ . وفيه طبعا محاسيب " المتقربين للعمال " وهـــم همـــزة الوصل بين الصبيان والمعلم يحصلوا على امتيازات كثيرة من

ناحية العائد المادى وأيضا النفسى مسموح له بالجلوس مع المعلم فى أى وقت والكلام معه وكلامهم مسموع وفيه كبار لكل مجموعة بالطبع يود هؤلاء القول بأن هؤلاء لهم نسق اجتماعى مكون من أدوار لكل هؤلاء من القاعدة إلى القمة ويتولى المعلم الكبير تبع لكل جماعة أولا التنسيق بين ما يسمع وبين نشاط الجماعة وله احترامه ولا يستطيع أحد الخروج على أوامره وتعليماته وحتى وإن كان مرنا بعض الوقت تكون هذه سياسة لاستجلاء الأمور أو لإيضاح أكثر إلى أن تحين لحظة الحساب ولا يستطيع أحد كان كبيرا أو صغيرا الخروج على السياق العام ، كما أكدت رؤى هؤلاء البعيدة المدى والتى كانت لى أنا شخصيا مثارا للدهشة حينما ذكرت فى نمط الأسرة الكبيرة رئيس الدولة والحاشية ، دول بتوع الحكومة ويتمتعوا بكل شئ ولهم حقوق وعليهم واجبات مثلهم مثل المحاسيب فى مجتمعنا المهمش الصغير أيضا والغير مهمش لنمط السلطة المعلم والمحاسيب والصبيان الصغار والكبار .